البيان

السنة الاولى — الجزء الرابع

اول يونيو سنة ١٨٩٧

اللغة والعصر

لم يبقَ في ارباب الأقلام ومنتحلي صناعة الانشآء من هذه الأُمّة من لم يشعر بما صارت اليهِ اللغة لعهدنا الحاضر من التقصير بخدمة اهلها والعُقم بحاجات ذويها حتى لقد ضاقت مُعجماتها بمطالب الكتّاب والمعرّبين واصبحت الكتابة في كثيرٍ من الاغراض ضربًا من شاقّ التكليف وبابًا من ابواب العنت واللغة لا تزداد الّا ضيقًا باتّساع مذاهب الحضارة وتشعُّب طرق التفنن في المخترعات والمستحدَثات الى ان كادت تُنبَذ في زوايا الإِهمال وتلحق بما سبقها من لغات القرون الخوال ومسّت الضرورة الى تدارك ما طرأ عليها من الثُلَم قبل تمام العفآء وقبل ان ينادي عليها موذّن العصر سبحان من تفرّد بالبقآء ويُختَم على مُعجَماتها بقصائد التأبين والرثآء

تلك هي اللغة التي طالما وصفها الواصفون بأنها اغزر الألسنة مادّةً وأوسعها تعبيرًا وأبعدها للأغراض مُتناوَلاً وأطوَعها للمعاني تصويرًا قد أفضت اليوم الى حالٍ لو رام الكاتب فيها ان يصف حجرة منامهِ لم يكد يجد فيها ما يكفيهِ هذه المؤونة اليسيرة فضلاً عما ورآء ذلك من وصف قصور الملوك

والكبراء ومنازل المترفين والأغنياء وشوارع المدن الغنّاء وما ثمَّ من آنيةٍ وأثاث وملبوسٍ ومفروش وغير ذلك من اصناف الماعون وأدوات الزينة مما لا يجد لشيء منهُ اسماً في هذه اللغة ولا يكون حظ العربي من وصفهِ الا العيّ والحصر وطيّ لسانهِ على معانٍ في قلبهِ لا يتسنى لهُ ابرازها بالنطق ولا يجد سبيلاً الى تمثيلها باللفظ كأنّ المقاطع التي يعبَّر بها عن هذه المشخَّصات لم يُخلق لها موضعٌ بين فكّيهِ وليست مما يجري بين لهاتهِ وشفتيهِ فعاد كالأبكم يرى الأشياء ويميزها ولا يستطيع ان يعبر عنها الاّ بالإشارة ولا يصفها الاّ بالإيماء

ويا ليت شعري ما يصنع احدنا لو دخل احد المعارض الطبيعية او الصناعية ورأى ما ثمّة من المسميات العُضوية وغير العُضوية من انواع الحيوان وضروب النبات وصنوف المعادن وعاين ما هناك من الآلات والأدوات وسائر اجناس المصنوعات وما تتألف منهُ من القِطَع والأجزاء بما لها من الهيئات المختلفة والمنافع المتباينة وأراد العبارة عن شيء من هذه المذكورات

ثم ما هو فاعلٌ لو أراد الكلام فيما يحدث كل يومٍ من المخترعات العلمية والصناعية والمكتشفات الطبيعية والكيماوية والفنون العقلية واليدويّة وما لكل ذلك من الأوضاع والحدود والمصطلحات التي لا تغادر جليلاً ولا دقيقاً الاّ تدلّ عليهِ بلفظهِ المخصوص

لا ريب أنّ الكثير من ذلك لا يتحرك لهُ بهِ لسان ولا يعهد لهُ بين ألواح معجمات اللغة ألفاظاً يعبّر بها عنهُ ولا يغنيهِ في هذا الموقف ما عندهُ من ثمانين اسما للعسل ومئتي اسمٍ للخمر وخمس مئةٍ للأسد وألف لفظةٍ للسيف ومثلها للبعير وأربعة آلافٍ للداهية وما يفوت الحصر لشيء آخر حرص مؤلف القاموس على استقصاء ألفاظهِ حتى لم يكد يذكر مادّةً الاّ وفيها شيء يشير

اليهِ ويدلّ عليهِ

على أن اللغة مرآة احوال الأُمّة وصورة تمدّنها ورسم مجتمعها وتمثال اخلاقها وملكاتها وسجلّ ما لها من علوم وصنائع وآداب وانما تضع منها على قدر ما تقتضيهِ حاجاتها في الخطاب وما يتمثل في خواطرها او يقع تحت حسّها من المعاني . ومعلومٌ أن العرب واضعي هذه اللغة كانوا قوماً اهل بادية بيوتهم الشعر والأديم ومفرشهم الباريّ والبلاس ولباسهم الكساء والرداء وأثاثهم الرحى والقِدْر وآنيتهم القعب والجفنة الى ما شاكل ذلك مما لا يكادون يعدُونهُ في حِلّ ولا ترحال فأين هم وما نحن فيهِ لهذا العهد من اتساع مذاهب الحضارة والاستبحار في التَرَف واليسار وكثرة ما بين ايدينا من صنوف المرافق وانواع الاثاث والزخارف وما نحن فيهِ من التفنن في احوال المجتمع والمعاش فضلاً عما بلغ اليهِ اهل هذا العصر من التبسُّط في مناحي العلم والصناعة مما كان اولئك بمعزل عن جميعهِ الاّ ما حدث بعد ذلك في عهد استفحال الاسلام مما ذهب عنا اكثرهُ وما كان فيهِ لو بلغ الينا الاغناء قليل

ومهما يكن من حال اولئك القوم وضيق مُضطرَب الحضارة عندهم وما نجد في ألفاظهم من الفاقة والتقصير عن حاجات هذا الزمن فلا يتوهمنَّ متوهمٌ أن ذلك واردٌ على اللغة من هرمٍ ادركها فقعد بها عن مجاراة الاحوال العصرية واناخ بها في ساقة الالسنة الحاليّة فان معنى الهرم في اللغة ان يحدث عند المتكلمين بها معانٍ قد خلت الفاظها عنها ثم تضيق اوضاعها عن احداث الفاظٍ تؤدَّى بها تلك المعاني فيطرأ على اللغة النقص حيناً بعد حين الى ان تعجز عن أداء اغراض اهلها ولا تبقى صالحةً للاستعمال وحينئذٍ فلا يبقى الاّ أن يُلقَى حبلها على غاربها او يستعان بغيرها على سدّ ما عرض فيها من الخلل بما

يغيّر من ديباجتها وينكّر اسلوب وضعها حتى تتبدل هيئاتها على الزمن وتصير على الجملة لغةً اخرى

وليس بمنكرٍ أن ما وصفناهُ من هذه الحال يشبه في بادي الرأي ما نشاهدهُ من حال لغتنا اليوم وما لم نزل ننعاهُ عليها منذ حين من تقصيرها عن الوفآء بمطالبنا العصرية الاّ أن ذلك اذا استقريت اوجههُ واسبابهُ وسبرت غور اللغة في نفسها وقست مبلغ استعدادها علمت انهُ ليس منها في شيء وايقنت انها لا تزال في ريعان شبابها وطور ترعرعها وأن فيها بقيةً صالحة لأن تجاري اوسع اللغات واكثرها مادّةً ولكن ما ادركها من ذلك واردٌ من قِبَل الأُمّة وتخلُّفها في حلبة الحضارة والمدنية اذ اللغة بأهلها تشبّ بشبابهم وتهرم بهرمهم وانما هي عبارةٌ عمّا يتداولونهُ بينهم لا تعدُو ألسنتهم ما في خواطرهم ولا تمثّل ألفاظهم الاّ صُوَر ما في اذهانهم. وبديهيٌّ أن اللغة لم توضع دفعةً واحدة وانما كان يوضع منها الشيء بعد الشيء على قدر ما تدعو اليهِ حاجة المتكلمين بها وقد اختصّت هذه اللغة بمزيّةٍ عزّ أن توجد في غيرها وهي أن اكثر ألفاظها مأخوذٌ بالاشتقاق اللفظيّ او المعنويّ بحيث صارت الى ما صارت اليهِ من الاتساع الذي لا تكاد تضاهيها فيهِ لغةٌ على كونها من اقلّ اللغات اوضاعاً الا انها من اكثرهنّ صيَغًا وأبنية وهو السرّ في قبولها هذا الاتّساع العجيب فضلاً عما فيها من تشعب طرق المجاز على ما سنعود الى بيانهِ بالتفصيل

واعتبر ما ذكرناهُ من ذلك بالرجوع الى ما كانت عليهِ اللغة زمن الجاهلية وفي صدر الاسلام ومقابلتها بما بلغت اليهِ على عهد الخلفآء من بني العبّاس بعد سكون الغارات واستتباب الفتوح وتنبُّه الأُمّة لطلب العلوم وتبسُّطها في فنون الحضارة بحيث خرجوا بها من حال الخشونة البدوية الى ابعد مذاهب المدنية الشائعة

لعهدهم ذلك لم يكادوا يُدخلون فيها لفظاً اعجميا[1] ولا اضطرّوا فيها الى وضعٍ جديد ولكنها خدمتهم بنفس اوضاعها التي وضعتها العرب فاشتقّوا منها ما لا عهد بهِ للعرب على وجههِ الذي نقلوهُ اليهِ ولم تتكلم بهِ اصلاً حتى احاطوا بصناعة الفرس وعلوم اليونان وادخلوا كثيرًا من مصطلحات الامم التي اجتاحوها شرقًا وغربًا وزادوا على ذلك كلهِ ما استنبطوهُ بأنفسهم واللغة مشايعةٌ لهم في كل ما اخذوا فيهِ لم تنضب مواردها دونهم ولا رأينا من شكا منها عجزًا ولا تقصيرًا الى ان ادركهم من تبدُّل الأطوار وغارات الأقدار ما وقف بهم عند ذلك الحدّ فوقفت اللغة عند ما نراهُ فيما وصل الينا من كتبهم وتوالى الاجتياح بعد ذلك على الأُمّة وتتابعت دواعي الدمار حتى اندرست أعلام حضارتها وذهبت علومها أدراج الرياح فزال اكثر اللغة من ألسنتها بزوال معانيها حتى صار الموجود منها اليوم لا يقوم بخدمة أمّةٍ متمدنة ولا هو اهلٌ لأن يبلُغ بهِ ما منزلتهُ تلك . ولذلك فان كان ثمة هرمٌ فانما هو في الأُمّة لا في اللغة لان ما عرض لها من الهجر والاهمال غير لاحقٍ بها ولا ملحقٍ بها وهنًا ولا عجزًا وانما هو عجزٌ في ألسنة الأُمّة ومداركها وتأخرٌ في احوالها واستعدادها ولو صادفت من اهلها البقآء على عهد اسلافهم من السعي في سُبُل الحضارة وتوسيع نطاق العلم لم تقصر عن مشايعتهم في كل ما فاتهم من الأطوار حتى تبلغ بهم الى مجاراة العصر الحاضر

ولقد أتى على اللغة مئاتٌ من السنين بعد ذلك لم يُزَد فيها حرفٌ بل لم

---

[1] يستثنى من ذلك كتب الطب فانهم تسامحوا فيها بنقل كثير من اسماء العقاقير والمواد الطبية واسماء الامراض وغيرها بلفظها الاعجمي لان بعضها لم يهتدوا الى مرادفه بالعربية وبعضها لا مرادف له عند العرب فلم يضعوا لها لفظا لما سياتى فى موضعه من ان اسماء الجواهر واشباهها لا تنقل على الغالب الا من طريق التعريب

يكد يُحفَظ منها ما يزيد على الحوائج البيتية والسوقية على تناقص هذه الحوائج وتراجع عددها يوماً بعد يوم بما طرأ على اهلها من الضغط والفاقة وما اتصل بذلك من استيلاء الجهل وتقلص العمران وذهاب الحضارة من بينهم حتى عادت حوائج كثير من اهل المدن الحافلة لا تكاد تتعدى حوائج البدويّ والأكّار وما دامت المعاني التي يعبر عنها باللغة معدومة فلا سبيل الى بقاء الألفاظ الدالة عليها اذ اللفظ انما يُتّخذ للعبارة عن الخواطر التي في النفس فلا يكون الاّ على قدرها بالضرورة . وزاد على ذلك كلهِ ذهاب ما كتب المتقدمون بعضهِ بالاحراق كما تمّ في مكتبة قُرطُبة وكأنّ هذا في مقابلة ما وقع من مثلهِ بالاسكندرية وفارس ... وبعضهِ بالاجتياح والنهب فلا بقي في مكانهِ فينتفع بهِ المتأخر ولا احتفظ بهِ الذي نهبهُ لجهلهِ قيمتهُ وبقي الشيء اليسير نجدهُ اليوم في مكاتب الاعاجم واكثرهُ مما اشتُري من ايدينا بالذهب ... فلا غرو ان نشأ عن تلك الاحوال كلها ذهاب هذه اللغة من ألسنة الاعقاب حتى لو رام احدنا اثارة دفائنها وتعهُّدها بالتجديد والاحياء لما وجد منها في البلاد الا الشيء النزر لا يعدو في الغالب علوم الدين وما يتصل بها مما لم يكد اهل بلادنا يحافظون على سواهُ ستأتي البقية

السوريون

سوريا التي لعبت بها يد الغيَر وفجعتها طوارق الحدثان بعد العين بالاثر هي القطر الذي كستهُ الطبيعة حلة الجمال فمزّقتها يد الانسان وخصّتهُ بمزايا تفرّد بها عن المثال فعادت عليهِ بالخسران وتباب السكان جوٌّ صافي الاديم لا يكفهرُّ الا ليجود السحاب بالقطر ويترقرق ماء العيون على حصباء كالدرّ

فتتبسم الرياض فيهِ عن ثغور الزهر وهوآئه لا يهبّ الاّ عبقت اردانهُ بشذا العطر فيبعث الحياة هبوبهُ ويمازج الارواح طيبهُ وسهولٌ فسيحة الاطراف خصيبة الاكناف تتدفق في جوانبها الجداول والانهار وتنمي في مناكبها الحدائق الملتفة الاشجار الطيبة الثمار وجبالٌ احتبكت شعابها وتناوحت هضابها ونشزت صخورها واكامها وكُلّلت بالثلج هامها واخضرّت سفوحها واخضلّت آجامها فكانت معقلاً للشريد ومعتصماً للطريد

هذه هي سوريا التي سبقت الى المدنية والحضارة واكتظت بالسكان والعمارة وانما بلغت هذا الشأن العظيم بالزراعة والصناعة والتجارة وهي تمتد من البحر المتوسط غربًا الى الفرات والبادية شرقًا ومن آسيا الصغرى شمالاً الى حدود مصر جنوبًا فتشتمل على القطر المعروف من قديم الزمان بارض الموعد والارض المقدسة . وقاعدتها دمشق العريقة في الحضارة المتقادمة العهد في المدنية جنة الارض المنقطعة النظير في جمال غوطتها وحسن موقعها وصفاء مائها واعتدال هوآئها وطيب ثمارها وكثرة حدائقها ومع انها انحطت عن حالة مدنيتها القديمة فقد لبثت غير متغيرةٍ الا قليلاً في خططها وترتيب مساكنها وعوائد اهلها واخلاقهم ومعايشهم وملابسهم لانهم لا يميلون الى الاحداث . وما عداها من مدن سوريا القديمة قد عفاها تقلُّب الاحوال فلم يبقَ منها الا رسوم واطلال وقامت على انقاضها الآن قُرًى حقيرة منتشرة في هاتيك الربوع الداثرة يأوي اليها شراذم من بقايا الامم الغابرة كأنها لم تبقَ الا لتشهد بما تجنيهِ الحروب من الدمار وما يُحدِثهُ تفريق الكلمة والشقاق من التباب والبوار او تستوفي ما أُرصد لها من الذلة وانحطاط المقدار بل لتكون عبرةً لذوي الابصار

ألا وهي البلاد التي ليس لها مثيل في العالم كله في تباين سكانها واختلاف نحلهم وعقائدهم على قلة عددهم فهم لا يزيدون الآن عن ٢٤٠٠٠٠٠ نفس متشتتين في بقاع تبلغ مساحتها نحو ٣٧٥ ميلاً طولاً من الجنوب الى الشمال في نحو ١٧٥ ميلاً عرضاً من الشرق الى الغرب . وهم اخلاطٌ من الاراميين وكثير من الاجيال التي اجتاحتهم من قديم الزمان حتى الآن وكانوا يؤلفون مملكةً عظيمة قاعدتها دمشق التي ذكرت في التوراة باسم ارام وكانت في زمن ابرهيم الخليل عريقةً في الحضارة على حين لم يكن غيرها شيئاً مذكورًا . ومما ذُكر فيها ان الاسرائيليين قتلوا من عسكر ملكها بنهدد الثاني ١٠٠٠٠٠ رجل في يوم واحدٍ وذلك دليل على كثرة سكانها حينئذٍ على انهم لا يزيدون الآن على ١٥٠٠٠٠ . ولا يخفى ان اليهود امتزجوا بالاراميين في حروبهم معهم منذ عهد داود الملك ثم سقطت المملكتان الارامية واليهودية بتغلب الاشوريين والبابليين والفرس شمالاً والمصريين جنوباً فاستبدّ الاشوريون والفرس بالاراميين وأجلوهم عن بلادهم وشتتوهم في الامصار والمدائن واسترقوهم واغتصبوا املاكهم ففقدت سوريا استقلالها منذ ذلك العهد ثم غلب الاسكندرُ الفرس وثل عرشهم وتملك اليونان سوريا حيناً من الدهر فتخلق اهلها باخلاقهم وكثرت عمارتها في ايام تملك السلوقيين فصارت مملكة عظيمة كانت قاعدتها انطاكية ثم قامت عليها ملوك الطوائف من جهة الشمال والبطالسة ملوك مصر من جهة الجنوب واستقلت اليهودية في ايام المكابيين وانقسمت دولة السلوقيين على نفسها فتهيأ للرومان الاستيلاء على هذه المملكة سنة ٦٤ ق م وقد عظم شأنها حينئذٍ حتى نازعت رومة سلطتها فتبوأ ملوكها كرسيَّ القياصرة من سنة ١٩٣ الى سنة ٢٤٩ ب م ونشروا عوائد السوريين ومبادئ دينهم في اوربا وكانت سوريا اول

قطرٍ انتشرت فيهِ النصرانية بعد ظهورها في اليهودية فازهر فيهِ نبراسها حتى عصفت ريح الشقاق والمماحكات الدينية بين ابنآئها في دولة الروم وتقوّى الفرس عليهم وكان عرب الحيرة يشنُّون الغارة على اطراف المملكة السورية فغنموا في غزوهم لضواحي انطاكية غنائم بعثت فيهم النخوة العربية على اعادة الكرة والسوريون لاهون بالمماحكات على العقائد كارهون ظلم حكامهم والروم متشاغلون بملذاتهم واستبدادهم حتى قويت شوكة العرب ثم ظهر الدين الاسلامي فجمع كلمتهم وكانوا أشتاتًا فاندفعوا على سوريا كالسيل الجارف فملكوها وطردوا الروم منها الا الذين أسلموا او الذين استأمنوا ودفعوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون واعتصم بعضهم بالجبال فحافظوا على استقلالهم في الاحكام والعقائد . وكانت دمشق كرسيّ الخلافة في الدولة الاموية حتى نقلها العباسيون الى بغداد . وبعد انقراض الدولة العباسية ملك الطولونيون سوريا ثم خلفهم الفاطميون ثم السلجوقيون واستولى على بعض انحآئها الصليبيون ثم اجلاهم عنها الايوبيون واجتاحها تيمورلنك سنة ١٤٠١ ثم افتتحها السلطان سليم الاول سنة ١٥١٧ وكانت تابعة لمصر منذ الدولة الطولونية . وما زالت الحروب تنتاب ديارها والفتن الاهلية تثور فيها فتعجل دمارها حتى صارت رسومًا داثرة وبقاعًا بائرة خاوية على عروشها خالية من سكانها وانيسها

وليس القصد مما سبق ايرادهُ بيان تاريخ سوريا فانهُ مما يطول الكلام فيهِ ولاتفي ببيانهِ المجلدات الضخمة وانما قصدنا التوطئة لأَوجه تباين سكانها في الاخلاق واختلافهم في السحنات والعوائد والمنازع والعقائد بما طرأ عليهم من الاختلاط ليمكن رد كل فرع منهم الى اصلهِ على ما هو مقتضى البحث في الطبائع اذ تُنتزَع من التاريخ والجغرافية والسياسة وعلم اللغات والتشريح ومنافع الاعضآء القواعد

التي يُرجَع اليها في انساب الشعوب. وما تميز بهِ الامم من الخصائص الحسية والمعنوية . وقد علمت ان السوريين اخلاط من اجيال مختلفة وامم كثيرة تغلبت على سوريا منذ الازمنة القديمة ولذلك لم يبقَ من السوريين الخُلَّص الا بقيةٌ يمثلها السريان في دمشق وقراها واليعاقبة في الموصل وديار بكر والنساطرة في الموصل والعجم وبعض جهات الهند والموارنة في جبل لبنان وهم الذين اعتصموا بالجبال وامتنعوا على الفاتحين او الذين استأمنوا وسكنوا المدن مغلوبين على امرهم اذلاَّء في اوطانهم وباقي السوريين اخلاطٌ من الروم والفرس والعرب والكرد والفرنجة والترك وغيرهم من الامم التي احتلت سوريا فتركت كلُّ امةٍ منها بقيةً اخصُّ ما تمتاز بهِ نحلتها الدينية

واذا نظرت الى السوريين من حيث النحل والملل تبيَّنت من المذاهب في القطر الذي انتشروا فيهِ ما لا وجود لهُ في قطر آخر وعرفت من العقائد ما لا يُتصوَّر ان العقل البشري ينحطّ الى التسليم بهِ فترى ثمت فِرَقًا تمزج حقائق التوحيد باضاليل الشرك كالصابئة واليزيدية والنصيرية وترى اليهود والنصارى والمسلمين منقسمين الى طوائف كلٌّ منها تدعي العصمة وصحة العقيدة وتنسب الى غيرها الغواية والضلال . فمن طوائف اليهود السامريون وهم في جبل نابلس لا يوجد منهم في غيرهِ ولا يزيدون عن ثلاث مئة نفس . ومن طوائف النصارى النساطرة المعروفون الآن بنصارى مارتوما وهم مشتتون في الموصل وديار بكر والعجم وبعض انحاء الهند وقد نبغ فيهم الحكماء والمترجمون الذين نقلوا حكمة اليونان وعلم الطب الى اللغة العربية في الدولة العباسية ومنهم السريان والكلدان والارمن وكلهم يعاقبة يعتقدون كالقبط بطبيعة واحدة في المسيح وقد اتحد بعض ابناء هذه الطوائف بالكنيسة الرومانية وسلموا بالقضايا

المختلف عليها مع المحافظة على عوائدهم وتقاليدهم القديمة . ومنهم الموارنة وهم من السريان تمسكوا من زمن قديم بالمعتقد الروماني ولبثوا حتى الآن محافظين على استقلالهم الديني في جبل لبنان . والروم وهم بقية الامة التي دحرتها العرب عن سوريا في القرن الاول من الهجرة ومنهم الروم الكاثوليك الذين اتحدوا بالكنيسة الرومانية . ومن الطوائف النصرانية في سوريا اللاتين والبروتستنت على اختلاف مذاهبهم وغيرهم . ومن طوائف الاسلام الاسماعيلية والشيعية والمتاولة والدروز في جبل لبنان وغيرهم وكلهم يذودون عن حوض مذاهبهم ويعتصمون بها ويتهالكون في الخصام بعضهم مع بعض لاجلها وهم اخوان في الوطنية وجيران في المسكن وشركاء في المصلحة العامة . ومن الغريب ان ترى في البلدة الواحدة فرقًا تجمعها قواعد الدين الكلية ولا تختلف الا في بعض مسائل فرعية وكل فريق يدعي العصمة لنفسهِ ويشاقُّ غيرهُ فينفر منهُ ويجتنب مخالطتهُ وربما انقسمت العشيرة الواحدة او الأُسرة الواحدة على نفسها فثارت ثائرة التعصب بين افرادها واشتدّ الخصام والنزاع وليس ثمت اسباب تدعو الى ذلك الا تُرَّهات وسفاسف يعتدُّون بها ويماحكون عليها عنادًا . ولذلك فان هذه البلاد لا يمكن ان تقوم فيها جامعة وطنية لما يحول دونها من اختلاف المذاهب وتباين الآراء فلا ترتقي الى رتبة المدنية ولو توفرت لها اسباب الارتقاء

على ان اختلاط السوريين بغيرهم من الاجيال والامم منذ الازمنة القديمة حتى الآن لم يؤثر في سحناتهم وبناء اجسادهم تأثيرهُ في تفريق كلمتهم وفصم عرى رابطتهم لان الذين اختلطوا بهم كانوا في الغالب من اطيب العناصر محتدًا ومن ارقى الشعوب نسبًا وسؤددًا فضلًا عن تأثير اقليمهم النقي الهواء الخصيب التربة في اعتدال امزجتهم وصفاء الوانهم وحسن تقويمهم وجمال

هيآتهم وتناسب ملامحهم وثقوب اذهانهم ونمآء قواهم العقلية واستكمال خصائصهم الادبية فهم من حيث الاستعداد الطبيعي للارتقآء في مقدمة السلائل البشرية لا يفوتهم الا الاتحاد في الكلمة والثبات في التحصيل . وسنعود الى تمام الكلام فيهم في الجزء التالي ان شآء الله

شفآء السرطان الجلدي

لا يخفى ان السرطان لم يزل حتى الآن معدودًا من العلل الغير القابلة للشفآء والطرق المعوَّل عليها في علاجهِ هي العمليات الجراحية على قلة نجاحها مع بلوغ الجراحة في هذه الايام الاخيرة غاية الاتقان . على اننا قد وقفنا على مقالة لطبيبين من مدينة براغ اسم احدهما سِرْني واسم الآخر ترونسِك نُشرت في ٥ مايو الماضي مع صُوَر بعض المصابين بهذه العلة قبل العلاج وبعد الشفآء في مجلة الطب الاسبوعية الفرنسوية التي تطبع في باريز اوضحا فيها طريقة خصوصية جرّباها فنجحت في شفآء هذه العلة فآثرنا تلخيصها بما يأتي

اذا نُظر الى الطرق المستعملة الآن في علاج السرطان يُرَى ان مبدأها واحد وهو استئصال النسيج السرطاني واكثر الجراحين يعتبر ان هذا العلاج غير كافٍ فالاولى ابداله ُ بواسطة تفعل على الخصوص توًّا في النسيج المرضي ولا سيما لان نزع الورم يشوّه الخلقة لما يستلزمه ُ من قطع الاجزاء الصحيحة المحيطة بالمولّد المرضي فضلاً عن نكسهِ واذا كانت الآفة كبيرة لا يبقى الاّ ترك المريض يتعذب وينتظر الموت . ولهذه الاسباب تحرّى الاطبآء البحث عن دوآءٍ يهلك بهِ النسيج السرطاني ولا تؤذى بهِ الانسجة الصحيحة فأجريت

تجارب كثيرة من هذا القبيل منها كيّ النسيج المرضي بموادّ لها الفة كيماوية مع الانسجة كالحوامض القوية والقلويات فلم تنجع لانها تؤثر في الانسجة الصحيحة ايضاً . ومنها استعمال المواد التي لها الفة خصوصية مع النسيج المرضي كمركبات الانيلين فلم تؤثر التأثير المطلوب . ومنها حقن الورم بالكحل وصبغة اليود والارجوتين والحامض الخلّي ونترات الفضة والزرنيخ والتربنتينا والحامض الأُسميك والفصفور . والحاصل ان جميع العقاقير والمركبات الدوائية والمياه المعدنية استُعملت في علاج هذه العلة ومنها الحقن بمصل الحمرة وغيرهِ وكلها لم تفد شيئاً . ومن الادوية التي استُعملت في علاج هذه العلة من قديم الزمان الزرنيخ وقد اثبت بلروث ان استعمالهُ من الداخل لم يشفِ عليلاً ولو ظهر منهُ تحسين في صحة المريض العمومية الاّ ان لسّار زعم انهُ شفى منذ عهد قريب كثيرًا من القروح السرطانية في الجلد بواسطة الزرنيخ

وبما ان الزرنيخ كان مستعملاً من قبل ذَرُورًا في القروح المزمنة فقد عنَّ للطبيبين المذكورين ان يجرباهُ في السرطان الا انهما اختارا استعمالهُ محلولاً على هذا النحو

يؤخذ من الحامض الزرنيخي مسحوقاً	غرام واحد
ومن الكحل الاثيلي	٧٥ غراماً
ومن الماء المقطر	٧٥ غراماً

تمزج ويستعمل هذا المزيج من الخارج بان تُمَسّ بهِ القروح السرطانية او السراطين السطحية مسّاً لطيفاً بعد ان يزال ما يعلوها من العفونات وتنظَّف ولا بأس ان يسيح حينئذٍ شيء من الدم واذا نزف منهُ كمية كبيرة تُمسَح قبل استعمال الدواء وبعد المسّ يترك المزيج قليلاً ليتبخر ثم يُلفّ القرح بعصابة اذا

لزم والاّ فالافضل تركهُ مكشوفاً

وبعد استعمال هذا المزيج كما ذكر يشعر المريض بألم محتمل يبقى عدة ساعات وفي الغد يتغطّى المولد المرضي باسخار او جُلبة تُمَسّ بالمزيج على ما تقدم ويواظب على ذلك اياماً حتى تسودّ الجلبة فيصير المسّ بالدوآء غير مؤلم ثم ترشح من محيط القرحة مادة مصلية مبيضة ويداوم استعمال هذا العلاج حتى تنفصل الجلبة فلا يبقى ما يربطها بالانسجة تحتها الا خُيَيطات تزال بمقص وبعد ازالتها يُمَسّ قعر القرحة بالمزيج فاذا ظهر في اليوم التالي جُلَيبة رقيقة مسمرّة سهلة الانفصال اطمأن البال من جهة شفآء القرحة لانهُ لم يبقَ من النسيج السرطاني الاّ القليل ولكن اذا تكونت جلبة لونها أدكن وكانت شديدة الالتصاق بالانسجة تحتها استُدلّ على ان النسيج السرطاني لا يزال ثخيناً فيجب والحالة هذه المثابرة على العلاج حتى يزول بل يجب ان تزاد قوة المزيج بمقدار غلظ الجلبة حتى تبلغ كمية الزرنيخ ١ في المئة او في الثمانين بدلاً من ١ في ١٥٠ كما تقدم

ومتى زال اثر النسيج السرطاني تتحول القرحة الخبيثة الى قرحة بسيطة تندمل بواسطة الحُبيبات اللحمية واذا خيف من تقاص الندبة يوضع على محيط القرحة مرهم مركب من ١ من الحامض البورقي و ١٠ من الفازيلين

ويجب منع استعمال المسكرات لان مدة المعالجة في السكارى أطول مما هي في غيرهم ومدة العلاج لا يمكن تعيينها على ان القروح الصغيرة تشفى غالباً اذا لم يُجرَ عليها عملية جراحية في مدة ٣ الى ٤ أسابيع بينما يقتضي شفآء السراطين المتسعة الغور او المنتكسة من شهرين الى ٣ اشهر يواظب فيها على العلاج بكل اعتنآء

وبعد ان أتيا على وصف حالة المرضى الذين عالجاهم على نحو ما تقدم

استنتجا ان العلاج المذكور ينجع في سرطان الجلد اذا لم تكن الغدد متصلبة ولا سيما اذا كان مقرُّ المولّد المرضي بعضَ اجزآء الجسد المكشوفة كالوجه . وقد أشارا بتجربة هذا العلاج في سرطان اللسان وقالا انهما لم يفوزا بشفآء سرطان الثدي شفآء تامًّا وان القروح السرطانية الكبيرة المساحة يكون فيها هذا العلاج مسكّنًا ويمنع الرائحة الكريهة ولو لم يشفِ العلة شفآء حقيقيًّا . ولا خوف من التسمم بالزرنيخ اذا استُعمل بموجب الطريقة المذكورة ولو في تجويف الفم مدة اشهر

وقد علّلا كيفية تأثير المزيج المذكور بأن الزرنيخ يتحد مع العناصر السرطانية فتتكوَّن مادة آحيّة (زلالية) تتجمد فتفقد مواد الاخلية السيالة فتصير كالموميا صلبة ولا يكون ذلك الا في الانسجة السرطانية لاسباب لم تزل غير مدركة

هذا خلاصة ما ورد في مقالة الطبيبين المذكورين أثبتناهُ حرصًا على فوائدهِ في صناعة العلاج ورغبةً في أن يجربهُ أطبآؤنا ممن يطلعون على هذه الجملة فيفيدونا عن نتيجة تجاربهم وفوق كل ذي علم عليم

مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المراش نزيل مرسيليا

(تابع لما قبل)

في تربية البدن

ولا تعجب من مقايستنا تربية الانسان بتربية الحيوان فانّا لم نفعل ذلك عن مجازفةٍ بل استنادًا الى نواميس الطبيعة العامة التي تجري احكامها على انواع الحيوان كافةً سوآء فيها الفرس والانسان لان الانسان في الحقيقة واحدٌ

من تلك الانواع ولا شيٰ يميّزهُ عن سائرها سوى النطق لا النطق الخارج اللفظيّ بل الباطن العقلي الذي بهِ يُعَدُّ الاخرس ناطقًا وان كان لا يستطيع أن يفوه بلفظةٍ . فان كان لا بد للولد من تربية ذهنهِ ليتقوّى فيهِ هذا النطق ويصير بهِ انسانًا فكذلك لابدّ من تربية بدنهِ كما سنَّت الطبيعة ليكون من هذه الجهة ايضًا رجلاً على الحقيقة . وذلك فرضٌ واجبٌ على الابوين والمربّي لا يسعهم اغفالهُ اذ ان نجاح كلّ امةٍ وفلاحها بل استقلالها موقوف على شدّة بأس رجالها وجَلَدهم وضلاعتهم لان من كان ضعيف البنية واهيَ القوى لا يستطيع ان يقوم باعباۤء مهماتهِ ولا ان يُقدِم على امرٍ مما يُحتاج فيهِ الى النشاط وصحّة البدن كاستخراج المعادن والاسفار وركوب البحار وحرث الارض وغير ذلك من الاعمال الشاقّة التي كثيرًا ما تدعو اليها الصناعة او التجارة او الزراعة . وزد على ذلك انهُ اذا اضطُرَّت الأُمّة الى الدفع عن نفسها في ميدان الحرب صيانةً لاستقلالها او ذودًا عن حوزتها او حمايةً لذمارها فان لم يكن رجالها ذوي بأسٍ ونجدةٍ خارت قواهم في القتال وفشلوا وتغلّب عليهم عدوّهم وان كانوا يفوقونهُ عَدَدًا وعُدَدًا

فصلٌ

وقد رسخ في اذهان كثيرٍ من الناس ان ما يشعر بهِ الاولاد بل الكبار ايضًا من مسّ الجوع والعطش والبرد والحرّ والتعب وغير ذلك لا يجب الالتفات اليهِ ولا الاعتداد بهِ . وهذا زعمٌ يترتب عليهِ ان ضروب الحسّ انما خُلِقَت في البشر لتضلهم لا لتهديهم فتأمل

وحقيقة الامر في هذا الزعم ان الذين يزعمونهُ انما ينظرون الى المعلولات ويذهلون عن عللها ولو انعم احدهم نظرهُ في القضية لوجد ان البشر لا يعرّضون

انفسهم لاسوآء وادوآء متعـددة لانهم يطيعون ما يأمرهم بهِ حسّهم بل لانهم يعصون امرهُ . فهم لا يمرضون لانهم اذا جاعوا اكلوا واذا عطشوا شربوا بل لانهم يستمرّون على الاكل والشرب بعد الشبع والريّ . ولا يسقمون لانهم يستنشقون هذا النسيم الذي يستطيبهُ كل الاصحّآء بل لانهم يتنفّسون ذلك الهوآء الفاسد مع شعورهم بأنهُ مؤذٍ للصدر مضرٌّ بالرئتين . ولا يعتلّون لانهم يطيعون ما تأمرهم بهِ وتدفعهم اليهِ الطبيعة من رياضة الجسم بل لانهم يعصون امرها في ذلك كسلاً او لعلةٍ أخرى . ولا تعتريهم العاهات لانهم يكدّون اجسامهم في عملٍ ما بل لانهم يثابرون على كدّها في الاعمال الشاقّة مدةً مديدةً من غير ضرورةٍ ومن بعد شعورهم بانّهم قد نُهكوا وبأن الطبيعة تأمرهم بالراحة حيناً . ولا يضرّهم اعمال فكرهم في ما يلذُّهم البحث عنهُ بل يضرّهم مثابرتهم على اعمال فكرهم واجهاد قريحتهم بعد ما يشعرون بهِ من الصداع وحرارة الوجه والاذنين وغير ذلك من الامارات التي تدلهم ان الطبيعة تتقاضى منهم ان يمسكوا عن ذلك الى حين

نعم ان دلالة الحسّ قد تكون بالنظر الى بعض الناس غير صادقةٍ دائماً الّا ان هذا من الشذوذ الذي لا تنتقض بهِ القاعدة المتقدمة . فان الذي يقضي سحابة يومهِ منقطعاً في حجرةٍ مغلقة النوافذ لا يخرج منها ولا يكاد يبرح مكانهُ والذي يُكثر من اعمال فكرهِ ويقلّ من رياضة بدنهِ والذي يأكل مجاراةً لصديقهِ اذا ألحَّ عليهِ او طاعةً لما يأمرهُ بهِ أذان المؤذّن او عقرب الساعة لا لما تأمرهُ بهِ معدتهُ كلّ هؤلاء جائزٌ ان تكون ضروب حسّهم قد فسدت حتى صارت تضلّهم في كثيرٍ من الاحوال . الّا أن ذلك لا يُخِلّ بالقاعدة التي قرّرناها لانهُ ليس في الحقيقة سوى عاقبة ماجنوهُ على انفسهم بعصيانهم نواميس

الطبيعة فلولا انهم جعلوا دأبهم منذ صباهم ان يخالفوا تلك النواميس لما فسد حسّهم بل لبث وهو في ملء صحتهِ دليلاً صادقاً يقودهم الى ما ينفعهم وينكّب بهم عما يضرهم

فصــل
في الغذاء

وثمَّ اربعة اشيآء ينبغي ان يُعتَنَى بها في تربية البدن اعتنآء خصوصياً وهي الغذآء والكسوة والسكنى والرياضة

فالغذآء ينبغي ان تُراعى في كميتهِ وكيفيتهِ قوانين الصحة ويُحكَّم دليل الصواب لا المزاعم والاوهام . فمن جملة هذه المزاعم والاوهام ما جرت بهِ عادة اكثرنا من كفّ الاولاد عن الطعام كلما قضينا تحكماً انهم قد نالوا منهُ حاجتهم مع انهم يستزيدون منهُ. وانما نكفهم لاننا نزعم انهم يشطّون في الأكل الى حدّ البشم ان اطلقنا لهم العنان وبئست الحجة هذه اذ ليس لنا فيها من دليل يدلّنا على الفرق بين حدّ الشبع وحدّ البشم سوى وهمنا وأولى بنا ان نستدلَّ على شبع الاولاد بالدليل الطبيعي وهو زوال شهوتهم للطعام كلما قضوا منهُ وطراً لانهُ دليلٌ صادقٌ في امرهم كما هو صادقٌ في امر الرضيع والمريض بل الحيوان ايضاً . فالرضيع اذا شبع كفّ عن الرضاع من تلقآء نفسهِ والمريض اذا نال حاجتهُ من الغذآء كفّ عن الاكل وكذلك الحيوان اذا اكتفى من العلف . الّا ان الذين يكفون الولد عن الطعام مع انهُ يستزيد منهُ لا دليل لهم على انهُ نال منهُ كفايتهُ سوى مجرّد زعمهم او وهمهم كما قلنا فمن أين يعرفون يا ليت شعري انهُ نال حاجتهُ من الغذآء وشبع وهو يطلب المزيد فهل لهم في جوفهِ جاسوس يبلّغهم ذلك . أما كان اجدر بهم ان يعلموا انهُ على صغر جثتهِ أحوَجُ

منهم الى الغذآء الوافي وذلك لا تعويضاً لما يفنى كل يومٍ بل كل ساعةٍ من اعضآئهِ فقط بل انماءً لبدنهِ ايضاً . وانما يفنى شيءٌ من اعضآئهِ واعضآئنا ايضاً لقيامها بما نيط بها من الاعمال من لدن الولادة الى ساعة الموت فالغذآء هو الذي يُخلف عليها ما يفنى منها

وليس مرادنا ههنا ان ننكر أن الاكثار من الاكل مضرٌّ بل هذا مسلَّمٌ ولكن مرادنا ان نقول ان للإقلال منهُ ايضاً آفات متعددةً هي اشدّ ضررًا من الإكثار لان الامراض التي يسبّبها الجوع اعسر شفآءً من التي يسبّبها البشم . وبعدُ فان الاولاد قلّما يتمادون في الاكل الى حدّ الكِظّة كما يفعل اهل الشَرَه وارباب البِطنة من البالغين

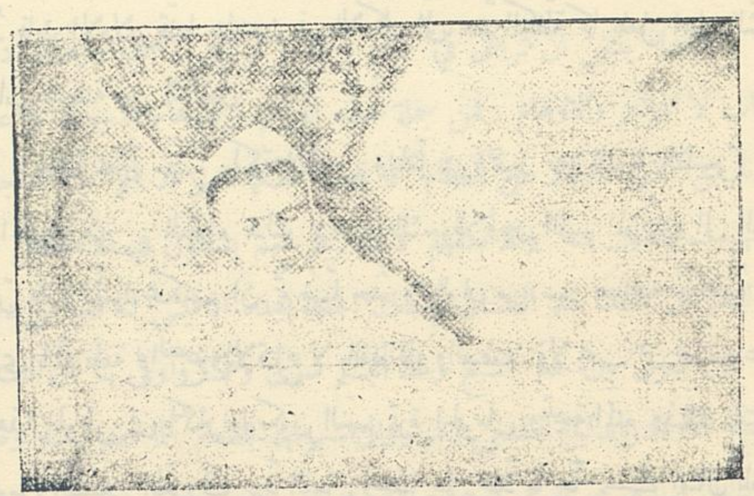
وهنا مجالٌ متّسعٌ لحكمة الابوين والمعلّم في التميز بين الشبع الطبيعيّ اي نيل الحاجة من الطعام بدليل ذهاب الشهوة وبين النهم المؤدّي الى البشم المضرّ فان تيقّنوا بحكمتهم ان ثَمَّ نهماً حذَّروا الولد من سوء عواقبهِ وكفّوهُ عن التمادي بالملاطفة والنصح والاقناع لا بالفظاظة والعنف . ولا يجب ان يعزب عنهم في هذا الموطن ان اكثر ما يكون النَهم ثمرة الحرمان ونتيجة المنع وذلك بمقتضى الناموس الطبيعي المعروف بردّ الفعل وهذا على حدّ ما جآءَ في امثال العامّة ان كثرة الشدّ ترخي وان الممنوع محبوبٌ ومتبوع وهذا يفسّر لك نهم مَن كان صائمًا فأفطر فهو أشرَه على الطعام ممن لم يكن صائماً ستأتي البقية

هيئة الاموات في الاحيآء

روت احدى المجلات العلمية ان فتاةً اسمها مرغريتا بوينفال هي الآن في سن الثانية والثلاثين نامت منذ سنة ١٨٨٣ نومًا عجيباً على اثر نوبة عصبية

مسببة عن الخوف وقد اتى على نومتها هذه ثلاث عشرة سنة وستة اشهر وهي في حالة الدنف لا تعي شيئاً وقد عادها كثير من نُطُس اطباء فرنسا وبعضهم يعودها كل يوم ويُظنّ انها تقضي اجلها وهي على هذه الحالة

وكان عمر هذه الفتاة لما نامت تسع عشرة سنة وكانت جميلة الوجه وضاحة المحيا صحيحة الجسم وقد امتُقع لونها الآن وذوت نضارة وجهها فترَى في فراشها مغطاةً بملآءة الا رأسها المنحني على مخدة وهي الى هيئة الاموات اقرب منها الى هيئة النائمين كما ترى في رسمها



وكانت تُعطَى الغذآء في أوّل الامر بملعقةٍ تُدخل بين اسنانها فتبتلعهُ من غير ان تشعر الا انهُ منذ ثماني سنوات امتنعت تغذيتها بالفم فعدلوا الى اعطآئها الغذآء بالحقن وهم يدفئون اطرافها وسائر اعضآئها بالحرارة الصناعية. أما تنفسها فيكاد لا يدرك ولهثها لا تندى به المرآة الا قليلاً ومع ذلك فهي لم تزل حية ولو قضي عليها بالموت

لا جرم ان هذه الحادثة من حيث طول مدة النوم من اغرب حوادث

السبات التي عُرفت حتى الآن ومعرفتها مفيدة من وجهين الاول ظهور السبات في فتاةٍ صحتها بحسب الظاهر جيدة والثاني الاعتبار بما وقع في مثل هذه الحادثة من دفن كثيرين احياءً

ولا يخفى ان حوادث النوم كثيرة وقد قسمها بعض المدققين الى ثلاثة اصناف احدها ما يكون النوم فيهِ بسيطاً والثاني ما يكون النوم فيهِ على شكل السبات وهو ما يشتبه فيهِ النوم بالموت والثالث ما يكون السبات فيهِ مختلطاً بالتقلصات والحالة الصرعية

اما النوم البسيط فامثلته كثيرة ومدتهُ تختلف فتكون يوماً او يومين او ثلاثة ايام وقد تطول من خمسة ايام الى ستة اسابيع وذكر بعضهم حادثة بقي النوم فيها عشرة اشهر وروى غيره ان فتاةً نامت عدة سنين . وذلك كلهُ مما عُرف قديماً فقد ذُكر ان اسقلوبيوس وابو لونيوس شاهد كل منهما جنازة امرأةٍ كانوا على عزم ان يواروها التراب فاستبان انها كانت في حالة السبات . ورُوي عن آخر انهُ دُعي ليشرّح جثة امرأة ظُنَّ انها ماتت اختناقاً فلما شرط الجلد تحركت وظهر بدلائل اخرى انها لم تزل حيَّة . ومثل ذلك ما يُروَى من ان قائدًا انكليزيًّا أُصيبت امرأتهُ بالسبات فلم يشكُّوا في موتها وهموا بدفنها الا ان زوجها لم يسلم بذلك وبعد ثمانية ايام افاقت . ومن هذا القبيل ما حكي عن امرأة دُفِنت وقد طمع الحفَّار فيما عليها من الملابس والحلي فعاد وفتح لحدها ليلاً فاستيقظت . على ان هذه العلة اكثر ما يصاب بها النساء العصبيات المزاج الكثيرات التأثر ولا يصعب فيهنَّ تشخيص السبات وتمييز الموت الظاهر من الموت الحقيقي

ولا يُنكر ان لا شيء يؤثر في مخيّلة الانسان تأثيرًا مخيفاً كيقظة الميت

في قبرهِ وما يُسمع من الصراخ الخارج من التابوت شاهداً على ان الميت الذي فيهِ لا يزال حياً يشعر بالاختناق والشدة الهائلة التي لا يعبَّر عنها وهو تحت التراب . فمن ذلك ما حدث سنة ١٨٩٥ وهو ان قنصل ايطاليا في اليونان دُفن بابّهة عظيمة وفي ليلة اليوم الذي دُفِن فيهِ سمع الحفار انيناً من جهة ضريحهِ فهُرع اليهِ وفتح المدفن فوجد ان القنصل انما دُفن حيًّا وقد استيقظ فاستغاث وليس من مغيث فقطّع شعرهُ وعضّ بنانهُ الى غير ذلك من علامات العذاب الفظيع الذي قاساهُ . وكذا ما حدث في السنة نفسها في سافوا العليا حيث دُفِنت امرأة كانت في حالة السبات فكان منها مثل ذلك . والحوادث من هذا النوع كثيرة فلا نطيل باستقصائها

ومعلوم ان دفن الميت في الممالك المتمدنة لا يؤْذَن فيهِ الا بموجب شهادة الطبيب المتعيّن عليهِ تحقيق الموت وبيان سببهِ وقد تقدم ان التمييز بين الموت الظاهر والموت الحقيقي غير صعب ولا سيما مع تقدم العلم في هذه الايام على ان وقوع مثل هذه الحوادث قد نبّه الافكار في بعض انحاء اوربا واميركا فاقيمت في ايطاليا والمانيا وسويسرا والولايات المتحدة بيوتٌ يودَع فيها الموتى الذين يشتبه موتهم لمراقبة احوالهم . وطريقتهم في ذلك ان يمدَّد الميت على فراش في غرفةٍ فسيحة وتوضَع في يدهِ كرةٌ فارغة من كاوتشوك متصلة بجرس يصوّت بأدنى ضغط متى تحركت الاصابع وتوضع كرةٌ مثلها تحت القفا فلدى اقل اختلاج يصدر منهُ يرنّ الجرس فيسمع الحراس فيتراكضون واذا كان الموت حقيقيًّا تظهر علامات التحليل في الجثة بعد بضعة ايام فيزول الشك وترتفع الشبهة

على ظهر النيل

نقتضب الكلام الآتي من كتاب رحلةٍ بهذا العنوان للفاضل الالمعيّ والكاتب المتفنن اللوذعيّ احمد زكي بك الشهير صاحب كتاب السفر الى المؤتمر وقد خرج للسياحة وترويح النفس على ظهر النيل فكتب في ذلك ما لقّنهُ خاطرهُ الواسع من وصف ما شاهد في تلك الرحلة وما عنّ لعين بصيرتهِ من لطيف المعاني. قال حفظهُ الله من كلامٍ

... نعم هو النيل الذي لم يبقَ لي ولا لغيري مجالٌ للاخبار عنهُ والتعريف بهِ فقد سبق السابقون من بني مصر وهم السابقون في مضمار الفضل والنبل والمجلّون في حلبة الاختراع والابداع فقدّسوهُ حتى جعلوهُ الهًا يخصونهُ بأجلّ العبادات ويتحفونهُ بالضحايا ويتقربون اليهِ بالقربان والقُرُبات فلم يتركوا من غرضٍ يتوخاهُ الوصّافون او مغزًى يكشف عنهُ المعبّرون اذ ليس بعد التأليه من تشبيه ثم جاءَت العرب من بعدهم فجزموا بانهُ مَلِكٌ قد بسط ذراعيهِ على البلاد بل مَلَكٌ وافى من الفردوس يحمل رَوح الجنّة الى العباد وليس وراءَ ذلك لواصفٍ مقال ولا لمادحٍ مجال

يتقاطر الناس من اقصى الجوانب ويتوافدون من المشارق والمغارب ويبذلون في سبيل الوصول الى هذا الوادي البهيج كل مرتخصٍ وغالٍ ليقفوا على شيءٍ من محاسن بلادنا ويحوزوا اثرًا من آثار أجدادنا فيرسلون اشعّة ابصارهم فيما لم يبرح بين ايدينا واعيننا اعصارًا طوالًا وهم في وادٍ ونحن في وادٍ هم في وادي النيل ونحن في وادي الاضاليل ثم يعودون الى اوطانهم وقد استفاد المؤرّخ والعالم وانتفع الصانع والتاجر ونحن جاهلون بما استنبطوهُ من

جليل الآثار والعِبَر ذاهلون عما استفادوهُ من بديع الصناعة ونفيس الحِكَم لا نعلم لما تركهُ اسلافنا الاولون قيمةً ولا نفعاً حتى يتفضل اولئك الاجانب بارشادنا اليهِ ويأخذوا اجرهم اضعافاً مضاعفةً من ثناء ينهال عليهم انهيالاً وفخرٍ يعتزّون بهِ تيهاً ويتيهون بهِ اختيالاً مع اننا نحن اصحاب الدار غير اننا قد تعاهدنا على تكذيب المثل السيّار وبتنا ونحن اجهل الناس بما لدينا من تلك الآثار

ألسنا نرى فتيان مصر كلما اصابتهم من التمدن الحديث نفحة او اصابوا من العرفان العصريّ مسحة اشرأبّت اعناقهم الى اوربا فاصبحوا واياها كصاحب الحاجة الارعن لا يرى سواها ولا يطلب الاّ قضاها ولا يحلم الا بها ولا يستيقظ الا بذكراها فاذا ساعدهم المقدور وتيسرت لهم الامور هُرعوا اليها سراعاً وتقاطروا اليها تباعاً وربما كان اكثرهم لم يرَ الاهرام وهي اليهِ اقرب من حبل الوريد بل اذا أُتيح لهُ رؤيتها اكتفى بارسال النظر اليها من بعيد ولم يقف عند قاعدتها يتأمل تلك الجبال القائمة من حجر الصوّان حيث لا جبال الاّ جبال الرمال ولم يصعد الى قمتها يرسل بصرهُ فيما تحت قدميهِ من المنظر البديع المثال . وترى الواحد منهم اذا رجع من اوربا عاد وهو يحدّث نفسهُ ويحدّث جيرانهُ بما رآهُ من عجائب الامور وغرائب المسموع والمنظور وهو لا يكاد يعرف شيئاً من كنوز بلادهِ التي هي اشرف شيء في المعمور بل لا يشعر بوجود ما حولهُ من الذخائر الاسلامية الباهرة والعمائر العربية الفاخرة التي ازدانت بها مدينة القاهرة

اقول هذا الكلام وانا اعترف امام الله وامام الانام باني احقّ ابناء بلادي بهذا الملام ولكن الحسنات يُذهِبنَ السيّئات فعسى ان يتنبه لقولي

من يصل اليهِ ندآئي وعندي انهُ ليس افضل ممن لم يكن لهُ الاّ حسنات يتلوها حسنات . ولقد نبهني ضميري ودعاني وجداني الى خوض عباب هذا الموضوع بينا كانت الباخرة تخوض عباب النيل وقد حوت تسعة وخمسين سيّاحاً وسيّاحةً غالبهم من الانكليز والاميركان ولم يكن بينهم من المصريين سوى طربوشين خلاف طربوشي ...

مشينا في النيل ونحن لا نكاد نجد الوقت الكافي للتمتع بالمناظر الشائقة التي كانت تتجلى امام اعيننا ذات اليمين وذات الشمال فلله هذا السحر الحلال بل لله درّ هذا الوادي الذي لا يفي بوصفهِ قلم البليغ وانما يجوز على مخيلة الشعرآء ان تتصورهُ بكل ما هو آيةٌ في الجمال فانهم في كل وادٍ يهيمون فكيف لا يهيمون في وادي النيل الذي قد اجتمع فيهِ النقيضان واصطلح عندهُ المتخاصمان فبينا ترى ضفّتهُ الشرقية يشرف عليها الجبل المقطم ويرسل اليها النظرات متتابعات وهو عليها غيورٌ شفيق وبها كلفٌ مغرم وقد جعل نفسهُ ترساً يقي مزارعها البديعة واراضيها المَريعة من هجمات الطبيعة اذا بالضفة الغربية وهي متوشحة برياضها وادغالها ولكن الرمال غارت من جمالها فاغارت عليها بجبالها فاشبهت الظلام حينما يهجم فيمحو الضيآء او الحِمام اذا انقضّ فقوّض اركان البقآء لذلك تنبّه الاول من آل مصر لصدّ هجمات هذا العدوّ المبين والمغير المستديم فأقاموا على حافة صحرآء لوبية (الصحرآء الغربية) نواطير وارصاداً من الاهرام المتوالية المتقاطرة وكلها كخطّ دفاعٍ اقامهُ امهر القوّاد من الجنود البواسل فاصبحت حرزاً حصيناً لوقاية هذا السهل الخصيب من انهيال الرمال بحيث اذا فاجأ احدها الخطر تنبّه اليهِ ونبّه اقرب الاهرام عليهِ فيتصل الصريخ ويتوالى النفير وبهذه المثابة بقيت الرمال واقفة على قدم المهابة والاحترام تدفعها الرياح

فتصدها الاهرام فلذلك تراها لا تزال متأهبة للوثوب في كل آن مترقبةً فرصةً للهجوم وهيهات ان يقع ذلك منها في الامكان

الحرب

الحرب مناجزة المتخاصمين بالسلاح طمعاً في جرّ مغنم او دفعاً لمَغرم فهي هجوم ودفاع وسطوة وامتناع فُطر عليها الانسان لما في طبعهِ من الاثرة والعدوان ونزعت اليها القبائل والممالك في كل زمان ومكان على ما يصحبها من نهب الاعمار وهدر الدمآء واستباحة الذمار وجوائح البلآء وما تجرُّ ورآءها من البوار والدمار وتخريب الديار والجوع والوبآء وجميع ضروب الشقآء فهي اعظم الخطوب الملمّة بالسلائل البشرية واشد المصائب على الحالة المدنية بل هي اكبر جنايةٍ اقترفها الانسان ضدّ نفسهِ وتعمدها لهلاك ابنآء جنسهِ على ان قوماً لا يرون فيها الا العدالة يصان بها الذمار والعزّة تُحمى بها الممالك والامصار والأَنَفة من احتمال مذلة الضيم والعار والقوة التي يمتنع بها الجار على الجار وقد كُتِبت على الناس مكرهين وربما جُعِلت فرضاً من فروض الدين ولم تزل الامم تعظم شأن الابطال وتقيم الانصاب للذين غلبوا في ساحة القتال تخليدًا لذكرهم واجلالاً لقدرهم قال ابو الطيب

لا يسلم الشرف الرفيع من الأَذى حتى يراق على جوانبهِ الدمُ

وقال

أعلى الممالك ما يُبنى على الاسل والطعن عند محبيهنَّ كالقُبَلِ
وما تقرُّ سيوفٌ في ممالكها حتى تُقلقَل دهرًا قبلُ في القُلَلِ

ولا مراءَ في ان الانسان نشأ على محبة الخصام والرغبة في الانتقام اذ لم يكن لمطامعهِ رادع ولا لشهواتهِ وازع بدليل ما حدث في القدم من مقتل احد الاخوين ولم تكن ارض الله ضيقة على اثنين . ونرى في الآثار البشرية الباقية منذ الازمنة العريقة في القدم قبل عهد التاريخ ظِرّاناً استعملها الاولون سلاحاً للصيد والحرب قبل ان عرفوا المعادن واستنبطوا الشَبَه والحديد وكانوا في عهد همجيتهم يصطادون بعضهم كما كانوا يصطادون البهائم ويَقرَمون الى اكل اللحم البشري كما تفعل بعض القبائل الوحشية لهذا العهد فكان شأنهم في اثارة الحرب شأن الضواري يفترس القويُّ الضعيف ثم استنبطوا السلاح من المعادن فاستعملوا القسيّ والرماح والسيوف والدروع والخوَذ وغيرها وقد ضربوا في اكناف الارض ينتجعون موارد الكلإِ لسوائمهم ويحيون مواتها بالحرث والغرس لمعاشهم فصارت الحرب غيرةً ومنافسةً كما بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة وفي هذه الحالة صار الانتفاع بالاسرى وسيلةً لاستحيائهم حيث كانوا يسترقُّونهم لحرث الارض ورعاية المواشي . ثم صارت عدواناً وغزواً كما بين الامم الوحشية الذين يجعلون ارزاقهم في رماحهم ومعاشهم مما بايدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعهِ آذنوهُ الحرب . ولما قويت اسباب الحضارة واتسع للعمران ولي الاحكام ملوكٌ توسلوا بالسلطة الدينية الى ما طمحت اليهِ نفوسهم من الاستبداد فجمعوا الجيوش الجرارة يزحفون بها بعضهم على بعض و بالغوا في احكام المعاقل والحصون والاكثار من العُدَد وآلات الهجوم والدفاع وما زالوا على ذلك من قديم الزمان ينكّلون بعضهم ببعض ويريقون الدماءَ ظلماً وبغياً حتى اندرست معالم العمران وتقوّض بناءَ المدنية بتباب السكان

ومن نظر الى ما حدث في الحروب الدينية من الفظائع والموبقات وما

افضت اليهِ من خراب الممالك وارتكاب المنكرات تبيّن ثم الاسباب التي حملت انصار المدنية من ساسة الممالك على انكارها والقيام ضدها فلم يبقَ لها ذكر الاّ في مخيلة بعض الاغرار ممن طمس الجهل على عقولهم والفضل في ذلك لفئة من رجال الدين قامت بتدبير بعض ممالك اوربا على اثر الحروب الدينية بين البابويين والبروتستنت وقد تنبهت هذه الممالك من سنة الغفلة وشعرت بما كان يمزّقها من الدسائس الداخلية فعهدت بتدبير شؤونها الى رجال ذوي حنكة وحزم اجمعوا على تقرير السلام بين الدول الاوربية فسُلخت الصفات السياسية عن الجيوش وقوادها وتقيّدت كل مملكة منها بنظام تُعرَف منهُ حقوق الحكام والمحكومين واستقلّت وزارة الحرب وسُنَّت القوانين التي تُعرَف بها حقوق الدول فيما بينها وجرت المعاهدات على حفظ السلام العام . على ان الحروب لم تبطل ولكنها تحولت من الحالة الدينية الى الحالة المدنية على ما هو جارٍ الآن بين الدول

ولا ينكر ان سياسة هذا العصر جارية على المكر والدهاء لا على القوة والبطش وغايتها حفظ الموازنة بين الدول الاوربية الكبيرة والمحافظة على ما لكل دولة من الحقوق والاملاك ومبدأها حفظ السلام تذرُّعاً الى نماء العمران وانتشار الامان واتساع نطاق التجارة في كل مكان . على ان كلّ دولة تناظر الاخرى وتكاثرها فيما لديها وتوجس منها خيفة الغدر والفتك وتحذر من ضعفها بازاء قوة جارتها وتحين فرصةً لتتقوّى اما بالاستعمار او باختراع آلات الهلاك او بالمال او بمحالفة غيرها مما تشدُّ بهِ ازرها او بغير ذلك وكل دولة واقفة للاخرى بالمرصاد تراقب كل اعمالها الداخلية والخارجية ما استطاعت الى ذلك سبيلاً . واذا كانت الامة راتعةً في بحبوحة الرفاهية سابقة القدم في حلبة المدنية

راقيةً في معارج النجاح وكانت هي المتصرفة في تدبير شؤونها لا يصدر ساستها الا عن رأيها فما ابعدها ميلاً عن الحروب وما اقربها الى حفظ السلام ولذلك لا يخشى وقوع حرب بين الدول الاوربية اذا لم تختلّ الموازنة بينها

وقد تقرر عندهم اليوم ان الموازنة بين الدول الاوربية لا تثبت اركانها ولا يقوم بنيانها الا بالمحافظة على السلم مع الدولة العثمانية ولذلك حين هبَّت الدولة اليونانية لمناشبتها الحرب في هذه الايام رأينا الدول الاوربية ولا سيما الروسية ممالئة للدولة العثمانية ضد اليونان على حين كانوا يستغيثون بها فلم تحفل بهم ولم تحركها العوامل الدينية الى قطع العلائق المدنية فثبت ان لفظة الحرب الدينية قد الغيت من معُجَم السياسة

على ان ثمت حرباً اشدّ نكالاً بالشرقيين من الحروب الدينية وغيرها وهي الحرب التي يشبُّها علينا الاوربيون واساطيلهم لا تمخر البحار وقنابلهم لا تقذف النار وجيوشهم لا تثير الغبار اعني بها الحرب الادبية التي ينازعوننا بها مصادر الحياة فانهم بحجة المعاهدات التجارية قد جاسوا خلال الديار فدنّا لهم صاغرين ثم تبوَّأوا منصة السيادة فاقبلنا عليهم مستعبَدين وانّى يُتاح لنا ان نناظرهم وهم السابقون في حلبة الابداع والاختراع الدائبون على توفية العلم حقهُ من التدقيق والتحقيق القائلون القول يصدّقهُ الفعل لا يدالسون فيهِ ولا يؤالسون الفاعلون بما تقتضيهِ الحرية لا يخافون ولا يتكتمون ونحن بالترهات لاهون وعن الحقائق متشاغلون

واذ قد فصل السيف الآن بين الدولتين وحسم ما كان يُخشَى ان تجرَّهُ هذه الحرب من العواقب الهائلة ساغ لنا ان نعقد الامل بعود السلم الى مجراهُ ودلنا ما آنسناهُ من صنيع الدول في هذه النازلة وتصرفهم في سياستها

ان الحرب قد اصبحت في هذا العصر من ابعد الامور حدوثًا فلا يُخشى ان تقف في طريق نجاح الامم وتقدمهم في سبل الحضارة والعمران وان ما تنشئهُ يد العلم والتمدن اليوم لا تسطو عليهِ يد الجهل والخشونة غدًا فتردُّهُ اثرًا بعد عين وهذا لا شك من افضل ثمرات المدنية في هذا العصر وان راى بعض الناس خلافًا في الامر بما تصوّرهُ لهم اهوآؤهم . ومن تمثل حالة البلاد التي كانت معتركًا لهذين الجيشين وما آلت اليهِ من الخراب والدمار وما سُفِك فيها من الدمآء الزكية المملوءة حياةً وشبابًا وذوى بجانبها من الآمال التي كانت تبسم بهجةً واستبشارًا وما طرأ بسبب ذلك من اقفار المنازل وخلوّ المدن الاواهل وهلاك الزرع والضرع وتعطّل التجارات والصناعات وما نزل بالقوم من دواهي الثكل وتشتت شمل الاحبآء والاهل وانغماس العيال في الفاقة المدقعة والشدائد المتنوعة الى غير ذلك من ضروب البلآء والوان الشقآء كفاهُ ذلك عبرةً تقشعرّ لها الابدان واستعاذ بالله من شرّ الانسان وما احسن ما قالهُ علامة العصر المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي طيَّب الله ثراه وجعل الجنة مأواه

ولقد رأيت الأُسد احسن خلةً   من جنس هذا الناطق المتمرّدِ
الناس تقتل كل يومٍ بعضها   والأُسد تقتل غيرها اذ تعتدي

لغز

لأحد الادبآء

ما آسمٌ خماسيّ البنا هوَ واحدٌ   ان شئتَ او جمعٌ بغير نكيرِ
واذا عمدتَ لجمعهِ نافى الذي   جمعوا كما قد شذّ في التصغيرِ

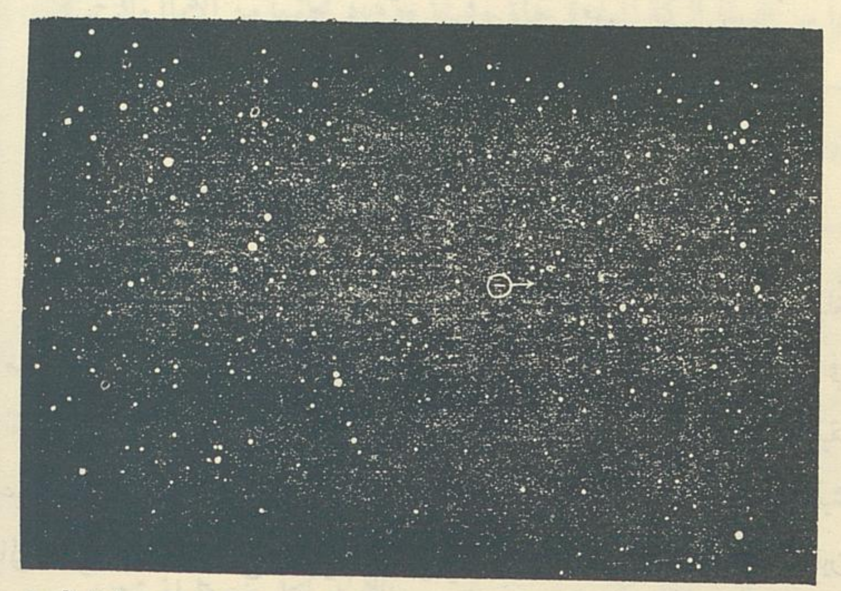
متماثل الطرفين قد ضُمّا الى وَسَطٍ بهِ فُصِلا لدى التصويرِ
فاذا ابتدأتَ بأوَّل طردًا الى أن تلتقي بالأوسط المذكورِ
ثمَّ ابتدأت بآخرٍ عكسًا الى وَسَطٍ كفعلك قبلُ بالتحريرِ
خرجت هنالك صورتان هما لهُ ردفانِ مستويانِ في التعبيرِ
فرأيتَ ثمَّ ثلاثةً في واحدٍ لم تحتمل شكًّا لدى التحريرِ
واذا طرحتَ الغايتينِ فما بقي شطرٌ لجملة نوعهِ المشطورِ
فامنُنْ بحلّتهِ وانت أجلُّ من يُعزَى لهُ في سائر المعمورِ

عجائب التصوير الشمسي

قد بلغت صناعة التصوير الشمسي في هذه العشرين سنة الاخيرة مبلغًا من الدقّة لم يكن يخطر في وهم انسان أن يُتوصّل الى مثلهِ فانهم قد بلغوا في تقوية حِسّ صفائحهِ الى حدٍّ فات البصر بمسافاتٍ حتى اصبحت على الحقيقة عينًا لعين الانسان تبصر بها ما غاب عنها دقّةً او سرعةً فتوصَّل بها علماء الهيئة الى تصوير كثيرٍ من الاجرام لم يكن يُدرَك ولا بأقوى المعظِّمات ما بين مذنَّبات وسُدُم وسيّارات من الكواكب الصغرى السابحة بين فلكي المرّيخ والمشتري وتوصّل غيرهم الى تصوير الاشباح في أثناء حركاتها بحيث بلغت من السرعة ان تتناول رسم الشبح في $\frac{١}{١٠٠}$ و $\frac{١}{١٠٠٠}$ الى $\frac{١}{٢٥٠٠٠}$ من الثانية

اما كيفية تصوير الاجرام فان الآلة المعدّة لذلك لها حركةٌ على نفسها تخالف حركة الارض الا انها بمقدارها في السرعة بحيث انها اذا نُصبت أمام نجم من الثوابت تبقى الصفيحة الحسّاسة ثابتةً أمام ذلك النجم لا ينتقل موقع شبحهِ

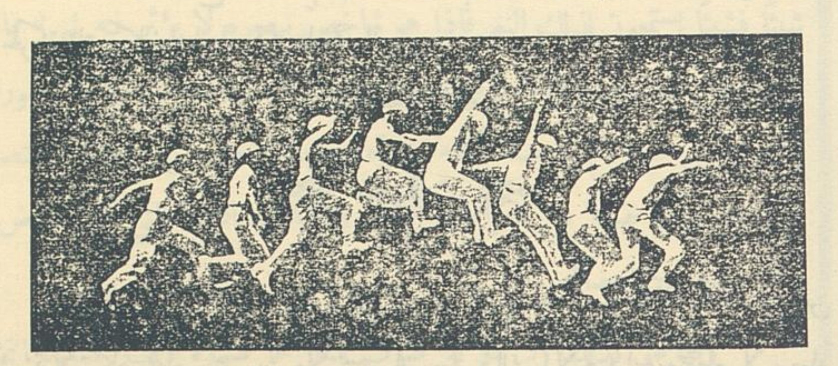
عليها مهما طالت مدّة التعريض . وحينئذٍ فان كان بين النجوم جرمٌ يتحرك غير الحركة العمومية الناشئة عن حركة الارض اليومية يرسم على الصفيحة خطًّا طولهُ بمقدار مكث الآلة موجهةً اليهِ والّا رسم نقطةً لا غير واذا كان ثمّت شبحٌ خفيّ من مذنَّبٍ بعيد او سديم لطيف ارتسم ايضًا لقوّة احساس الصفيحة على ما قدّمناهُ وبهذه الطريقة اكتشفوا كثيرًا من هذه الاجرام مما لم يكن معروفًا من قبل



صورة ناحية من منطقة البروج وفيها رسم سيار صغير هو المرسومة الدائرة حوله والسهم دليل على اتجاه حركته في فلكه

واما تصوير الاشباح المتحركة فأول ما خطر للمسيو جانسن قيم مرصد ميدون فانهُ اخذ رسم الزُهَرة وهي عابرة على وجه الشمس صُوَرًا متتابعة ليس بينها الا مسافاتٌ من اقصر ما يُتوهّم بقصد اظهار طريق الزهرة على وجه الشمس وتمثيل مرورها عليهِ . ثم صنع الموسيو ماراي احد اعضآء المجمع العلمي بباريز

آلةً سماها بالمكحلة الفوتغرافية درس بها حركة الطير في طيرانهِ ومن هنا اخذ مَن بعدهما يتوسعون في هذا الاختراع حتى اخذوا صورة الشيء في اسرع حركاتهِ ورسموا من ذلك ما لا يمكن ان تتناولهُ العين . فرسموا اطوار حركة المشي والعَدْو والوثب والطيران والسباحة وأخذوا صورة الهرّ وهو ساقط من علوٍ وظهرهُ الى الاسفل حتى وصل الى الارض وقوائمهُ الى الاسفل وهي مسئلةٌ مشهورة استغرقت بحثًا طويلاً في هذه الايام الاخيرة في المحافل والمجلات العلمية . ثم صوروا حركة شفاه المتكلم فكانت في اتمّ ما يكون حتى عُرضت على الصُمّ في المدرسة التي يعلمونهم فيها فهم اللفظ بحركة الشفاه ففسروا ما قالهُ الرسم بحركة شفتيهِ



صورة رجل يثب وقد اخذ رسمه فى ثمانية اطوار

فمن المخترعات في ذلك الآلة المسماة بالفوتسكوب للأُستاذ داماني وقد بنى هذا الاختراع على خاصّة من خواصّ الشبكية في علم منافع الاعضاء وهي أن الاشباح تبقى مرتسمةً عليها بعد ادراكها نحو $\frac{١}{١٠}$ الثانية فكان لهُ من ذلك انهُ اذا صُوّر الشبح المتحرك عشر صُوَرٍ متوالية في ثانيةٍ واحدة وأُمرّت هذه الصُوَر على العين في المدة نفسها ظهر لها الشبح عينهُ واحدًا ذا حركةٍ

متصلة لانها اذا ادركت اول صورةٍ منهُ وجاءَتها التالية بعد عُشر ثانية اتصل اول المنظر الجديد بآخر المنظر السابق وهكذا فيما يلي الى آخر الصُوَر من غير أن تشعر الشبكية بتبدُّل الشبح

وطريقتهُ في ذلك انهُ بعد ان يصوّر الشبح او المحضر رسوماً متتابعة على الوجه المذكور يوزع هذه الرسوم على محيط دائرة من زجاج ويجعل هذه الدائرة في محترق آلةٍ فوتغرافية وينير خلف الصُوَر بنورٍ ساطع ثم يجعل امام هذه الدائرة دائرةً اخرى مظلمة قد فُتحت فيها كوّةً بمقدار ما يسع احدى الصور ثم يدير الدائرة الزجاجية بسرعة فتمرُّ تلك الرسوم امام الكوّة واحدٌ بعد آخر وتوضع العين امام الزجاجة العينية من الآلة فترى الشبح متحركاً الحركة التي كان عليها وقت اخذ الرسم

متفرقات

انتحار بلبل — من المعلوم ان تغريد البلبل لا يدوم الاّ اياماً قلائل من السنة لا تكاد تتجاوز شهرين ولا يُسمَع لهُ بعد ذلك الاّ صداحٌ متقطع لا يرسلهُ ولا يتمّهُ وربما سُمع من صغارهِ اصواتٌ شاذّة لا تجري على نغمةٍ مطّردة . وقد بذل المولعون بتربية هذا الطائر كل ما في احتيالهم لاغتنام تغريدهِ في سائر السنة فلم يكن الى ذلك من سبيل . فاخذوا من صغارهِ وهي في اوكارها وجعلوها بين سائر الطيور التي لا تقطع تغريدها كالكناري واشباههِ فمنها ما بقي على سكوتهِ ومنها ما غرّد ولكن تغريداً غير مستملح أو حكى ما يسمعهُ من اصوات سائر الطير فخلّط بينها على غير انتظام . ثم امتحنوا الامر في كبارهِ

فأخذوها صيدًا بالأشراك واحتبسوها فلم يفوزوا منها بطائل بل كثيرًا ما كان ينتهي امرها بالانتحار بأن تعاف الطعام والشراب حتى تموت جوعاً

ومن اغرب ما حدث في ذلك ان رجلاً من المغرمين بصوادح الطير كان في جملة ما عندهُ منها بلبلٌ قد اخذهُ بشَرَك في اثناء فصل الخريف من العام الماضي فاستمرّ عندهُ الى آخر الشتآء وهو غير مبالٍ بحبسهِ لكنهُ منذ دخول الربيع اخذت تظهر عليهِ علائم الوحشة والكآبة فهجر الطعام والشراب واهمل تعهد نفسهِ بالاستحمام والزينة مما طالما كان حريصاً عليهِ فافرغوا جهدهم في ردّهِ الى ما كان عليهِ من الانس فلم يستطيعوا اليهِ سبيلاً

ثم انهُ لما كان في احدى الليالي سمعوا لهُ تغريدًا شجيًّا فجعلوا يدنون منهُ شيئًا فشيئًا يستمعون لذلك النغم فاذا هو شاخصٌ ببصرهِ لا يؤثر فيهِ شيءٌ مما يمرّ حواليهِ كمن قد شردت افكارهُ في مهامه الخيال وهامت نفسهُ في اودية التصورات وكان يطبق عينيهِ ثم يفتحهما وكأنهُ يتأوّه بصوتٍ شجيٍّ من اعذب ما يُتصوَّر ينبئ عما يحرّك نفسهُ من العواطف الرقيقة والتخيلات النائية التي كان ينتفض لها كل عضوٍ من اعضائهِ

وفيما هو كذلك اذ سُمع لهُ صوتٌ منكر محا صورة ذلك المشهد التمثيلي واسفر عن الحقيقة المحزنة فانهُ لما بلغ منهُ اليأس وانقطع كل ما كان عندهُ من حبال الامل في التخلص من ذلك السجن فتح عينيهِ السوداوين الكبيرتين وانتصب ريش رأسهِ وعنقهِ وانتفض جناحاهُ واخذت سائر جسمهِ رعدةٌ اضطربت لها كل ريشةٍ منهُ ثم صاح صيحة يأسٍ وحنق من اشدّ ما يكون وسقط مكانهُ فنظروا فاذا بهِ قد انشقّ صدرهُ من عظم تلك الصيحة ومات

آثار ادبية

اكتفاء القنوع بما هو مطبوع — هو اسم كتابٍ وضعهُ الاستاذ الفاضل المستر ادورد فنديك نجل المرحوم الدكتور كرنيليوس فنديك المشهور جمع فيهِ اسماء الكتب العربية التي طُبعت في البلاد الشرقية والغربية منذ ابتداء عهد الطباعة الى يومنا هذا فكان فهرساً عامًّا اشتمل على اسماء نحو ١٨٠٠ مؤلَّف في فنونٍ مختلفة رتّبها على ازمنة تآليفها وانواع العلوم التي وُضعت فيها وضمّ الى ذلك ملخصاً تاريخ الآداب والعلوم العربية وبيان مشتملاتها وما تقلّب عليها من الاطوار مع تراجم كثير من العلماء والشعراء فجاء كتاباً جامعاً غزير الفوائد والمطالب حرياً بأن تزيَّن بهِ صدور المكاتب

غير انهُ مع ما حوى هذا السفر من الفوائد الجليلة وما بُذِل من العناية والتنقيب في جمعهِ وترتيبهِ لم يُوفَّ حقّهُ في بعض المواضع من صدق النظر والتثبت في ردّ الحقائق الى نصابها بحيث جاء فيهِ من الروايات المدخولة والوهم في نسبة بعض المؤلفات الى اربابها ما كدّر منهلهُ على الورّاد وخاط عليهم وجوه السداد . ولذلك فنحن نستأذن حضرة مؤلفهِ الفاضل ان نشفع تقريظنا لهُ ببيان ما عنّ لنا فيهِ من مطارح الانتقاد لا نقصد بذلك غضًّا منهُ ولا تفنيداً ولكن حرصاً على الحقائق العلمية ورجاء ان يعيد فيهِ نظرهُ فيُلاحِقهُ بتصحيح يتداركُ بهِ ما فرط فيهِ من السهو ان احبّ والاّ فلا اقلّ من ان يُتنبَّه لذلك فيما سيُطبَع منهُ في المستقبل والله الموفق الى قصد السبيل

فمن تلك الاوهام ما جاء في صفحة ١٨ عند ذكر الكتاب المسمى بمجاني الادب حيث قال « ضبطهُ الشيخ ابرهيم ابن الشيخ ناصيف اليازجي » وليس

ذلك من الواقع في شيء ولا اشارة اليهِ في الكتاب اصلاً فكان من حقهِ ان يتثبت فيهِ قبل اثباتهِ ولا يسترسل الى مجرَّد ظنٍّ خطر لهُ او خبرٍ سمعهُ ولا سيما وان الكتاب شائعٌ بين ايدي الناس يمكنهُ الوقوف عليهِ أيّان شآء وتحقُّق ذلك منهُ بالعيان

ومن ذلك ما حكاهُ في صفحة ٢٧١ حيث ذكر رسائل ابي العلآء المعرّي ثم عقّب عليها بما نصّهُ « وجد شاهين عطية اللبناني نسخةً منها في مكتبة باريس فاستنسخها » وهي من عجيب الروايات فان الرجل لم يرحل الى باريس قطّ ولم يخرج من حدود سوريا بل لم يفارق بيروت ولبنان منذ وُجد . وانما النسخة التي طبعت عنها هذه الرسائل منقولةٌ على ما نعلمهُ عين اليقين عن نسخةٍ وُجدت في احدى مكاتب دمشق استنسخها خليل افندي الخوري صاحب المكتبة الجامعة في بيروت وطبعت بعنايتهِ لا « باعتنآء شاهين عطية » كما رواهُ بعد ذلك في صفحة ٣٤١ ولكن المشار اليهِ كان الشارح لها كما يُرَى ذلك صريحًا في عنوان الكتاب ثم في مقدّمة الطابع

ومن هذا القبيل ما جآء في صفحة ٢٨٩ حيث ذكر ترجمة عنترة بن شداد ثم قال « اما سيرتهُ فقد جمعها الاصمعي . . » وما ابعدها روايةً يترفع عنها الاصمعيّ ترفعًا عظيماً لما شُحنت بهِ هذه السيرة الغريبة من الاقاصيص المختلقة والاسمآء الموضوعة والخرافات المنكرة حتى جُعلت في باب البطش والاقدام اشبه بسيرة جُحَى في باب الرقاعة والمضحكات فضلاً عما في سياقتها من الركاكة واللحن وما يتخللها من فاسد الشعر ومنحولهِ الى غير ذلك مما يعلمهُ اهل هذا الشأن . والصحيح أن الذي جمع الكتاب رجلٌ يقال لهُ الشيخ يوسف بن اسمعيل ذكروا انهُ كان يتصل بباب العزيز في القاهرة فاتفق أن حدثت ريبةٌ في دار

العزيز ولهجت الناس بها في المنازل والأسواق فسآء العزيز ذلك واشار الى الشيخ يوسف المذكور ان يُطرِف الناس بما عساهُ ان يشغلهم عن هذا الحديث وكان الشيخ يوسف واسع الرواية في اخبار العرب كثير النوادر والاحاديث فأخذ يكتب قصةً لعنترة ويوزعها على الناس فأُعجبوا بها واشتغلوا عما سواها

وقد ذكر في هذا الموضع ان امّ عنترة «جاريةٌ سودآء اسمها زبيدة» وقد تحرف عليهِ هذا الاسم وصوابهُ «زبيبة». ثم ذكر ان المسمى بشيبوب كان خادم عنترة والذي في القصّة انهُ اخوهُ على انّ هذا من جملة ما اشرنا اليهِ من الاسمآء الموضوعة كمقري الوحش وغيرهِ من الاشخاص الذين لم يكن لهم وجودٌ بين العرب ولم يُخلقوا الا بين محابر القصّاصين واقلامهم

ومن ذلك ما رواهُ في صفحة ٣١٧ حيث ذكر الالفاظ الكتابية وهي المصنَّف المشهور لعبد الرحمن الهمذاني ثم قال «طبعت في بيروت تحت اسم كتاب الكلام» وهذه ايضاً من الروايات المستغربة فان الكتاب طبع تحت اسم «الالفاظ الكتابية» ولم يسمع اسم «كتاب الكلام» الاّ في هذا الموضع

ومنهُ ما ورد في صفحة ٤٠٤ عند ذكر كتاب مجمع البحرين حيث جعل عدد المقامات التي فيهِ ٥٩ مقامة فنقص منها واحدةً مع انهُ عدّها قبل ذلك في صفحة ٢٨٤ ستين مقامة وهو الصحيح

وجآء في صفحة ٤٠٥ ما نصهُ «ابرهيم بن ناصيف اليازجي ... لهُ مصنفات مدققة مضبوطة يُعتمَد عليها. منها (١ً) نفح الازهار في منتخبات الاشعار.. (٢ً) شرح الطراز المعلم الذي لأبيهِ في البيان...» ونسبة كلٍّ من الكتابين اليهِ غير صحيحة فان نفح الازهار مما جمعهُ المرحوم شاكر البتلوني كما رواهُ بعد ذلك في صفحة ٤٧١ و ٤٨٠ ولكنهُ طُبع بتصحيح المشار اليهِ

على ما هو مذكورٌ صريحًا في عنوان الكتاب . وكذلك ما نسبهُ اليهِ من شرح الطراز المعلم فانهُ لأبيهِ لا لهُ . وبقي في هذا الموضع اشياء لا يتسع المقام لذكرها ولا هي من غرضنا في هذا الفصل فنضرب عنها صفحًا

ومثل ذلك ما رواهُ في صفحة ٤١١ حيث ذكر ترجمة المرحوم المعلم بطرس البستاني فجعل في جملة مؤلفاتهِ « تاريخ نابليون » وهو غير صحيح ايضاً وانما التاريخ لولدهِ المرحوم سليم البستاني كان ينشرهُ في مجلة الجنان تحت اسمهِ

وهناك اشياء أُخر هي دون ما ذُكر في الاهمية ولكنها غير موافقة للصحة كما جاء في صفحة ٢٨٢ و ٣٤٠ عند ذكرهِ رسائل البديع قال « طبعت في بولاق سنة ١٢٩١ وفي مصر سنة ١٣٠٤ وبهامشها في هاتين الطبعتين خزانة الادب لابن حجة الحموي » وهو عكس الواقع بل عكس المحتمل فان خزانة الادب اضخم من رسائل البديع باضعاف كثيرة والصحيح ان الرسائل هي التي طبعت بالهامش كما ذكر ذلك في صفحة ٣٤٩ و٣٦٠ و ٣٩٣

وكما جاء في صفحة ٢٨٤ من ان المرحوم ناصيف اليازجي توفي سنة ١٨٧٠ والصواب سنة ١٨٧١ كما ذكرهُ بعد ذلك في صفحة ٤٠٣

وكتلقيبهِ ابا فِرَاس في صفحتي ٢٦٩ و ٢٧٠ « بالحمدوني » وصوابهُ « الحمداني »

وكقولهِ في صفحة ٣٥٧ في الكلام على مفتاح العلوم للسكاكي « وهو موسوعة في علوم اللغة والبلاغة » ولا معنى للموسوعة في هذا الموضع ولكن استعمالها من سوء التناول وذلك على حدّ ما جاء لهُ في صفحة ١٧٦ من هذا الكتاب حيث قال « ومذ اعتنى العرب بالفلسفة ساروا سير المصنفات (كذا) الحاوية الجامعة التي سماها بعض اهل عصرنا بالموسوعات » اه . ولم يسبق لأحدٍ

من اهل عصرنا ولا من غيرهم تسمية هـذه المصنفات بالموسوعات ولكن هذه اللفظة اول ما ورد ذكرها في هذا العصر في مجلة الطبيب [1] ايام تسليم عهدتهـا الينا وقد اتفق لنا ذكر كتابٍ من هذا الجنس فسميناهُ « موسوعات العلوم » ثم ذكرنا في الهامش ما نصهُ « هو العنوان الذي اطلقهُ الملاّ احمد بن مصطفى على هذا الجنس من التأليف في كتابهِ مفتاح السعادة ومصبـاح السيادة والمراد بموسوعات العلوم مشتملاتها وما وَسِع كلٌّ منها ويقال في جمعهِ كتب موسوعات العلوم » انتهى . والى ذلك الاشارة بقولهِ « سماها بعض اهل عصرنا » مما كان يجب ان يصرّح فيهِ بذكر المنقول عنهُ اذ لم يسبقنا احدٌ في هذا العصرالى ذكر هذا اللفظ . على ان هذه التسمية ليست من وضعنا كما عرفتَ وكما صرّحنا بهِ هناك ولا هي على الوجه الذي ذكرهُ ولكنهُ تصرّف في هذه اللفظـة بما رايت حتى خرجت عن وضعها لفظاً ومعنى وانعكس وجه الاستعمال فيها فصـارت اسماً للظرف بعد ان كانت اسماً للمظروف

بقي هنا امران لا نجد بدًّا من التنبيه عليهما احدهما تعرُّضهُ للموازنة بين كتب المصنّفين وتفضيلهُ بعضها على بعض مجـازفةً وتحكماً وذلك كما فعل عند ذكرهِ الكتاب المسمى باقرب الموارد (صفحة ٣٣٠) حيث قال « وهو اصح واكمل من محيط المحيط للبستاني بل من اصح المعجمات واحسنها ترتيباً . . . » وكقولهِ عند الكلام على شعر المتنبي (صفحة ٢٦٩) « واحسن تفسير لديوانهِ هو كتاب التبيان لابي البقآء عبد الله العكبري » وانما الاول نسخةٌ عن محيط المحيط والثاني نسخةٌ عن شرح الواحديّ وفي كليهما ما يعلمهُ البصير عند مقابلة الفرعين بالاصلين مما لا نتعرض فيهِ للمزيد وليس هذا موضع الكلام عليهِ

---

١ الطيب لسنة ١٨٨٤ — ٨٥ صفحة ٣٣٠

والامر الثاني انهُ لا يكاد يسمي واحدًا من الافرنج الوارد ذكرهم في هذا الكتاب الاّ ينعتهُ بالعلاّمة وقد يكون كتبيًا او طبّاعًا ولا يكاد يذكر اسم عربيّ او شرقيّ الاّ مجرَّدًا من النعوت ولو كان من اعظم العلماَء واهل الفضل وفي ذلك ما فيهِ مما يأباهُ الادب ولا يجيزهُ الظرف بل مما يتعين على الحازم الامساك عن مثلهِ حذر ما يكون لهُ من الاثر السيئ في النفوس

ونمسك عنان القلم عند هذا القدر من النقد على هذا الكتاب ونحن نبرأ الى حضرة مؤلفهِ الفاضل من سوء القصد فيما ذكرناهُ فانّا خلا ما نتوخاهُ بذلك من الغرض العلمي لسنا ممن يرى في مجرَّد الاطراَء شيئًا من صادق المدح ولا من دلائل الاخلاص ما لم يكن مشفوعًا ببيان ما يقارن المحاسن من اضدادها لأن من يذكر السيئة مع الحسنة لا يكون الاّ صادقًا فضلًا عن ان ذلك لا يكون الا بعد الفحص والاستبطان بحيث تكون الشهادة عن بيّنة والاّ كان المقرّظ لا يخلو من احدى خلتين امّا المجازفة واما المداهنة ونحن لا نرضى لنا ولا لمن نقرّظهُ بشيءٍ من الامرين

وفي هذا المقام نعترف لحضرتهِ بالفضل لما بذلهُ من العناية في جمع هذا الكتاب وتمثيلهِ ونثني عليهِ الثناَء الطيّب لما توفر عليهِ من الاهتمام بخدمة وطننا العربيّ ولا بدع فقد تعودنا مثل ذلك من هذا البيت الكريم الذي لهُ عندنا من جميل الايادي ما لا يفنى تذكارهُ ولا تُمحى آثارهُ والله المسؤول ان يسدّدنا جميعًا الى ما بهِ منفعة الانسانية وتعزيز شأن الوطنية بتوفيقهِ تعالى وحسن الهامهِ

التمدن الحديث وتأثيرهُ في الشرق — أُهديت الينا نسخةٌ من خطابٍ بهذا العنوان لحضرة الاديبة الفاضلة السيدة هنا كوراني المندوبة السورية في

مؤتمر شيكاغو العلمي لسنة ١٨٩٤ القتهُ في احد محافل بيروت بعد عودتها اليها في شهر مايو سنة ١٨٩٦ . وقد طبع هذا الكتاب حديثًا فيما يزيد على ٢٠ صفحة كبيرة بحثت فيها في حقيقة التمدن الحديث وتاريخهِ وما يقوم بهِ من الامور المعنوية والمقوّمات الادبية دون ما اغترّ بهِ معاشر الشرقيين من زخرفة الظواهر والاخذ بنتائج الامور قبل مقدماتها واسبابها مما رمى آمالهم بالخيبة ومساعيهم بالاخفاق وافضى بهم الى التأخر والخراب اوردت ذلك كلهُ بعبارةٍ سهلة بسطتها بسطًا مقبولاً فاجادت وافادت ولذلك فانّا نحث جمهور المتأدبين على مطالعة هذا الخطاب ونثني على ناسجة بردهِ ثناءً جميلاً

رواية مظالم الآباء — اطرفنا حضرة الاديب المتفنن خليل افندي كامل بنسخةٍ من هذه الرواية الأنيقة وهي تمثيلية ذات خمسة فصول اجاد فيها في احكام سرد الحوادث والابداع في تصوير الوقائع بحيث حازت من اقبال الجمهور عليها ما دلّ على حسن وقعها في النفوس فنثني على مؤلفها الاديب بما هو اهلهُ ونتوقع لهُ زيادة التقدم في هذا الفن اللطيف

المعارف — ورد علينا العدد الاول من مجلة معنونة بهذا الاسم لصاحبها ومحررها الفاضل منلا عثمان افندي الموصلي وهي علمية سياسية تاريخية ادبية اخبارية . وفيما نعهد في حضرة محررها المشار اليهِ من غزارة الادب والبراعة في صناعة الانشاء ما يضمن لها التقدم بين الصحف العربية فنحث المتأدبين من ابناء هذه اللغة على الاشتراك فيها ونتمنى لها ما هي اهلٌ لهُ من الرواج والانتشار

اسئلة واجوبتها

وردنا هذا السؤال فنشرناه بحروفه

القاهرة في ١٧ مايو سنة ١٨٩٧

قرأنا في احدى المجلات العربية التي تطبع في القاهرة كلاماً منسوباً الى الدكتور بتر مفادهُ ان مدة المحاضنة في الطاعون هي ستة ايام فلا يخشى من اتصال عدواه بمصر وان عدواهُ لاتنتقل الاَّ بالملامسة من المصاب الى السليم لا كما تنتقل عدوى الكوليرا بين الثياب ونحوها (كذا) ولما كان الدكتور بتر ثقةً في مثل هذه الحوادث وقد اعتمدتهُ الحكومة المصرية للبحث في بمباي عن سبب الوبآء والنظر في ما يجب اتخاذهُ من التدابير دفعاً لهجومهِ على القطر المصري فكلامهُ المذكور ان صحّ لا بد ان يكون مبنيًّا على اساس علمي يلزمنا ان نسلم بهِ خلافاً لما قررهُ غيرهُ من الاطبآء. وبما ان المسئلة مهمة لما يترتب عليها من صحة العموم نترجى نشر هذا السؤال الذي نلتمس بهِ من حضرة الدكتور بتر ان يفيدنا على اي اساس علمي او عملي بنى رأيهُ المذكور ايضاحاً للحقيقة وزيادة في طمأنينة البال

الدكتور ن . ف .

الاسكندرية — قد اختلف الناس في لفظ الجيم فمنهم من يلفظها شبيهةً بالكاف الضخمة كأهل القاهرة مثلاً . ومنهم من يأتي بها مما يلي مقطع الشين اي مما بين الشين والدال كاهل الاسكندرية وعليهِ لفظ سكان سوريا وفلسطين وتلك الناحية . ومنهم من ينطق بها والحالة هذه مركبةً مع الدال فيقول في عَجَب مثلاً « عدْجَب . » وعليهِ اكثر من بقي من سكان هذا القطر وعامّة اهل البادية وما يجاورها من العراق العربي وهو اللفظ الذي يصورها بهِ كتّاب الافرنج فيما ينقلونهُ من الالفاظ العربية فاي هذه الاوجه هو الاصح

احد قرآء البيان

الجواب — اما الوجهان الأوّلان ففيهما بحثٌ سنفيض فيهِ بقدر ما يحضرنا منهُ لأنّا لم نجد من نبّه على ذلك ولا تكلم فيهِ. واما الثالث فلا يجوز ان يكون صحيحاً في لغتنا البتة. اما اولاً فلأنهُ ليس عندنا حروفٌ مركبة اي يتركب لفظها من مقطعين كما هو الحال في بعض الحروف اليونانية مثلاً. واما ثانيًا فلأن لفظها كذلك يفضي تارةً الى الابتدآء بالساكن كما في جَلَس فانها تُلفظ «دْجَلَس» وتارةً الى الجمع بين الساكنين وذلك اذا وقعت الجيم ساكنةً او بعد ساكن كما في يَجْلِس ويَعْجَب فانهُ يقال فيهما «يَدْجلِس» و«يَعْدْجَب» وربما افضى الى جمع ثلاثة سواكن وذلك اذا سكنت الجيم مع ساكنٍ آخر في الوقف كما اذا وُقف على ثلج ومجد فانهُ يُلفَظ بهما «ثَلْدْجْ» و«مَدْجْدْ». وربما اجتمع هنالك اربعة سواكن كما اذا وُقِف على لفظ حاجّ ونحوهِ وكل ذلك ممتنعٌ فضلاً عما فيهِ من الثقل. وزد على ذلك ما يلزم عن زيادة هذا الساكن من اختلال وزن الشعر في كل جزء يقع فيهِ هذا الحرف اذ الشعر عندنا مبنيٌّ على حركاتٍ وسكناتٍ لا يتعداها ولا يستقيم الا مع التزامها

وأما القول في أيّ اللفظين الاولين هو الاصحّ فان اعتبرتَ ان الاصحّ هو الأعرَف والأشيَع على ألسنة العرب أزمان نقل اللغة وتحريرها فالثاني اي لفظ اهل الاسكندرية هو الاصحّ لا محالة لانهُ هو اللفظ الذي كان عليهِ جمهور العرب في اواخر عهد الجاهلية وصدر الاسلام وعليهِ نصوص النحاة وعلماء اللغة فانهم عند تعيينهم مقاطع الحروف يجعلون مخرج الجيم من الشَجْر وهو مفرج الفم ويضعونها مع الشين والياء في حيّزٍ واحد. وان ذهبتَ الى ان الاصحّ هو الأقدم والأسبق فلا كلام في أن الوجه الأوّل الذي عليهِ سكان القاهرة هو الاصحّ لانهُ هو اللفظ القديم الذي كانت عليهِ العرب لأوّل عهدها

بشهادة الاستدلال من تأريخها ولغتها نفسها

وذلك اولاً ان العربية احدى لغاتٍ أَخَواتٍ تُعرَف باللغات الساميّة كانت ولا شكّ لغة طائفةٍ واحدة ثم افترق اهلها فتباينت ألسنتهم طبيعةً وبقي في كلٍّ منها الفاظٌ شائعةٌ تشهد بوحدة ذلك الاصل على ما بسطناهُ في غير هذا الموضع بالتفصيل [١] . فاذا تفقدت مخرج هذا الحرف فيما بقي من تلك اللغات كالعبرانية والسريانية لم تجدهُ في شيءٍ منها يُلفَظ من الشَجْر ولا يعرف اهلها ذلك في عصرٍ من الاعصار فهو ولا ريب مما طرأ على لغة العرب فيما احدثتهُ من التصرف في الفاظها كما يدلّ على ذلك بقاء قومٍ منهم باليمن الى عهدٍ غير بعيد ينطقون بهذا الحرف على اللفظ القديم كما صرّح بهِ ابن دُرَيد ونقلهُ ابن يعيش في شرح المفصَّل والرضيّ في شرح الشافية وغيرهما من ائمة العربية . على أن العرب لم يحدث عندها هذا التبديل الاّ في زمنٍ متأخرٍ كثيرًا ولم يقع لها الاّ بعد بلوغ اللغة غاية كمالها واستيفائها تمام اوضاعها على ما يتضح لك دليلهُ مما سيجيء

ثانيًا أنك تجد طائفةً من فصيح ألفاظ اللغة ومأنوسها اذا لُفظ فيها هذا الحرف من الشجر جاءت شاذّةً عن قانون الوضع عندهم وحدث فيها من التنافر والثقل ما يخرجها عن الفصاحة . وذلك أنك اذا استقريت ألفاظ العرب لم تكد تجد في اوضاعها حرفين متقاربي المخرج بدون فاصلٍ بينهما فلا تجد العين مع الحاء او الخاء مثلاً ولا الغين مع القاف او الكاف ولا السين مع الصاد ولا اللام مع الراء الاّ فيما ندر وذلك لصعوبة الانتقال من مقطعٍ الى مقطعٍ يقاربهُ كثيرًا ولذا اذا اتفق تداني المخرجين من طريق التصريف عدلوا بهما الى الادغام كما

---

١ مقتطف السنة السادسة صفحة ٣٢٤ و ٣٩٠

في ادّعى وامّحى واشباههما . ولكنك كثيرًا ما تجد الجيم في ألفاظهم مقارنةً للشين كما في قولهم شَجُعَ الرجل وجَشَرَ الصبح وهذا طعامٌ جَشْب ووَشَجت أعراق الشجرة ونَجَش في البيع ونحو ذلك . ولا يخفى ما في هذه الكلمات واشباهها من الثقل اذا لُفظت الجيم فيها من الشَجْر لقرب مخرجها حينئذٍ من مخرج الشين . وكذلك ما جآءت الجيم فيهِ مجاورةً للزاي او السين او الذال او الثآء ولا سيما من كل ذلك ما جآء فيهِ الحرف الثاني بعد سكون الاول كما في قولك زيدٌ اشجع من عمرٍو وجئتهُ عند مجشر الصبح ودخلت المسجد وهو لا يجسر ان يفعل كذا ونحو مزجر الكلاب ومجزر الغنم ومجثم الطائر وهلمّ جرًّا فان هذه الالفاظ كلها في منتهى الثقل حتى ان بعضها لا يمكن الخروج فيهِ الى المقطع الثاني ما لم يحرَّك الاول ولو بقدر ما يعتمد عليهِ الصوت للانتقال الى ما بعدهُ والاّ وقع الادغام اضطرارًا . ومن الغريب أن علمآء البيان ما زالوا ينعون على امرئ القيس لفظ المستشزرات في قولهِ غدائرهُ مستشزَراتٌ الى العلى مع انك اذا تأملتهُ لم تجدهُ اثقل من لفظ المجزر مثلاً لاستوآء اللفظين في موجب الثقل وهو الخروج من الشين او الجيم الساكنة الى الزاي . واين قول امرئ القيس هذا من قول الشنفرى في لاميتهِ المشهورة

وان مُدّت الأيدي الى الزاد لم اكن بأعجلهم اذا أجشع القوم أعجلُ

فان قولهُ اجشع من اثقل ما سُمع حتى انهُ لا يستقيم لك وزن البيت ما لم تدغم الجيم في الشين على ما قدّمناهُ قريبًا والاّ اضطُررت الى تحريكها فانكسر الوزن . ومع كل ما ذُكر فانك ترى هذه الالفاظ كثيرةً عندهم شائعةً في كلامهم من الشعر والنثر وهو ادلّ الدليل على انهُ لو كان لفظ هذا الحرف عندهم من الشجر لتحاشوها وضعًا واستعمالاً وبخلاف ذلك ما لو عدلتَ بهِ الى مخرجهِ

الآخر فانك تجد هذه الكلمات كلها قد زال ما فيها من التنافر وعادت باسرها من فصيح اللفظ ومنتقاهُ

ثالثًا أن علماءَ الصرف اجمعوا على جعل هذا الحرف من الحروف القمرية اي التي تظهر معها لام العريف مع اجماعهم على جعل مخرجهِ من الشَّجْر وهو ايضًا شذوذٌ آخر فيهِ وخروجٌ عن قياس امثالهِ لأن الحروف الأَسَليّة اي التي تُلفَظ من طرف اللسان كلها شمسية كما تعلمهُ بالامتحان وذلك للسبب الذي قدّمناهُ من صعوبة الانتقال من مقطعٍ الى مقطعٍ يقاربهُ اذ اللام من الأَسَليّة ايضًا ولذلك التزموا ادغامها تخلصًا من الثقل. وعليهِ فقد كان حق الجيم ان تُدغَم فيها اللام كما تفعلهُ العامّة بارشاد السليقة وكما تُدغم في الشين التي هي من مخرجها ولكن اظهارها من اوضح الأدلّة على انها كانت تُلفَظ من مخرجٍ قريّ وهو المخرج القديم الذي قرّرناهُ فكانت تظهر معها اللام كما تظهر مع الكاف مثلاً لوحدة المخرج فيهما ثم أُزيلت الى الشجر وبقيت اللام معها على ما أُلف فيها والله اعلم

مطالعات

وصيّة لارباب العلم — اوصى السيّد نوبال مستنبط الديناميت المشهور بمبلغ ٥٠ مليونًا من الفرنكات تُجعَل وقفًا على مكافأة ارباب العلم وهذا المبلغ هو جميع ثروتهِ على التقريب. وهذه صورة وصيّتهِ نعرّبها تحصيلاً

« تُحرَّر قيمة هذا المبلغ بتقويم العارفين ويُعتقَد بهِ مستغَلاَّت يوزَّع ريعها السنويّ على من يكونون انفع أقرانهم خدمةً للانسانية في تلك السنة. وهذا

الريع يُقسَم على خمس جوائز متساوية تُعطَى لأربابها على الوجه الآتي

« الأُولى لمن توصّل الى افضل اكتشافٍ او اختراعٍ في العلم الطبيعي

« والثانية لمن توفّق الى اهمّ اكتشافٍ او تحسين في علم الكيمياء

« والثالثة لمن اهتدى الى انفع اكتشافٍ في علم منافع الاعضآء او الطبّ

« والرابعة لمن ألف اجود كتابٍ ادبي على الاسلوب التخيُّلي

« والخامسة لمن تمكّن من توثيق اسباب المسالمة والاخاء بين الأُمم

« اما توزيع هذه الجوائز فالأُولى والثانية توزَّعان على يد المجمع العلمي بأسوج . والثالثة يفوَّض امرها الى المجمع الطبيّ باستكهلم . والرابعة تؤدَّى بانتخاب المجمع الادبي بأسوج . والخامسة يحكم فيها لجنةٌ تؤلَّف من خمسة اعضآء يتخيرهم ديوان التنظيمات بنروج

« وانا ارغب اليهم في امر هذا التوزيع ان لا يميَّز فيهِ بين أُمّةٍ واخرى حتى لا ينال الجائزة الاّ مستحقها » . انتهى

اما ريع هذا المبلغ فلا يكون اقلّ من ٣٠٠٫٠٠٠ فرنك كل سنة وهو اعظم مبلغٍ أُرصِد لمكافأة رجال العلم والادب

بقي ان نسأل هل يكون لهذه البلاد حظٌّ من هذه الجوائز . ولعل الجواب ان احقّ جائزة ترسَل الى هذه البلاد هي الجائزة الخامسة يقتسمها اصحاب الجرائد والخطبآء .....

وردتنا مقالةٌ مسهبة من جناب الحسيب النسيب الامير شكيب ارسلان يردّ بها على بعض ما نشرناهُ في الجزء الثالث من النقد على الدرة اليتيمة ولما كان ورود المقالة بعد تمام ترتيب هذا الجزء أرجأنا نشرها الى الجزء التالي